بدر شاكر السياب

أنشودة المطر

مدونة
Riyadh
Hamza

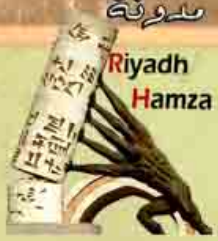

دار مكتبة الحياة
للطباعة والنشر والتوزيع

أنشودة المطر

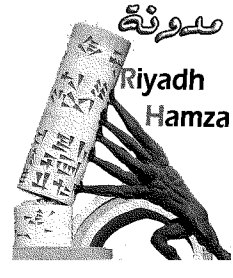

/http://riyadhhamza.blogspot.com

بدر شاكر السيّاب

أنشودة المطر

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة
١٩٦٩
بيروت

مقدمة الناشر

لم تمض على وفاة الشاعر العبقري ، بدر شاكر السياب، إلا سنوات قليلة، والشعب العربي في العراق مـا زال يذكره ، بل والشعب العربي في كل أرض العروبة ما زال يذكره ، ويذكر حياته التي وإن لم تمتد بهـا الأيام والسنون إلى أكثر من الشباب ، إلا أنهـــا حفلت بتجارب وأحداث وكفاح وآلام وانفعالات ، قلما يمر بها إنسان في مثل هذا العمر القصير

تسعة وثلاثون عاماً قضاها الشاعر الثائر ، العربي الأصيل ، قبل أن يفارق تاركاً الأثر الذي لا ولن يُنسى في نفوس من عاصروه وعاشروه ، بل وفي كل من قرأ وسيقرأ له هذا الفيض من الشعر في دواوينه العديدة ، الشعر الذي لا يحتـاج قارىء بعد قراءته إلى السؤال عن شيء من تفاصيل حياة الشاعر العبقري الرائد فمـا هو إلا مرآة صادقة تعكس في دقة ووضوح حياة الشاعر كاملة التفاصيل ، بل وأكثر من ذلك تعكس الصورة الجليـة لمرحلة مر بها العراق ومعظم أقطار العروبة، مرحلة التطور والثورة في سبيل الحرية والتحرير والحياة الأفضل

طفولة مرحة جزلة قضاهـا بدْر في جيكور ، القرية الهادئة الجميلة في جنوب العراق ولكن القدر ضَنّ بمرح الطفولة عليه فحرمه حنـان الأم التي توفيت وهو صغير ، ثم حرمه حنان الأب الذي تزوج فشغل عن ولده ولقد كان لهذا الحرمان المبكر من الحنان والحب أثره في نفسٍ مرهفة سريعة التأثر عميقة الانفعال فظل بدر يبدو طيلة حياته باحثـاً عن الحنوّ وعن

العطف ما يكاد يلمس أثراً منه في صديقة أو صديق حتى يسارع بالتشبث بصداقة أو بحب سرعان ما تصطدم عواطفه المرهفة بعدم صدقه وجدّيته..

ثم دراسة في القرية ، يتبعها انتقال لاستكمال مراحلها النهائية في دار المعلمين العاليـة في بغداد وشعور بالغربة والضياع في هذه المدينة الحافلة التي تختلف كبير الاختلاف عن محيط القرية وحياة الريف واطّلاع عن كثب على الحيـــاة الجديدة في المدينة العاصمة على الطبقية المروّعة التي كانت تجثم على أنفاس المجتمع آنذاك ، قلة مترفة ترفل في حلل الغِنـَى ، وتمارس في بطر وفجور حياة السيادة على كثرة حُرِمَتْ من الحياة الكريمة حتى لتكاد تحرم من أبسط أسباب الحيـاة !.. الصيف والشتاء في مجتمع واحد !.. الثراء والترف والنعيم والشَّبع حتى التخمة للقلة والفقر والبؤس والحرمان والجوع حتى الموت للكثرة

وما كان للشاب الثائر الجياش العاطفة إزاء ما رآه ولمسه إلا أن ينضم إلى قافلة المعذبين اللائذين باليسار كمبدأ يتوسمون فيه القدرة على الانقـاذ وإلا أن ينطلق معبراً بالشعر عن عواطف المحرومين مشاركاً الجماهير تظاهراتهم وهتافهم ، ليلقى بعدهـــا من حكم القلة الاقطاعية المتشبثة بسلطانها جزاء المتمردين المعارضين الاعتقال والاضطهاد والسجن ، ثم المراقبة الخانقة بعد إطلاق سراحه ، ثم التعرُّض لسلاح الظلم ، سلاح الفصل من الوظيفة والحرمان من أسباب الرزق الذي مـــا زاد الشاب الثائر إلا إصراراً على المناداة بالاصلاح والإيمان بسبيله الثورة تهدم قصور الظلم وتجتثّ أُصول الطغـاة الظالمين

وضاقت به بلاده بعد أن ضاقت سبل الحياة ، وأوغل الحكام في إيذائه والتنكيل به ، ففارقها إلى الغُربة ليحس بذلّ الغريب وانكسار نفسه ووحشة روحه ، والغربة الاضطرارية مع ضيق ذات اليد أقسى على النفس الحساسة الأبيّة من الاضطهاد والسجن والعذاب على أرض الوطن فعـاد

عاد إلى التشرد إلى الفقر إلى الحرمان الذي ألجأه إلى هجرة ثانية إلى الكويت « غريباً على الخليج » يناجي بلده الحبيب ويرنو إليه بفكره وروحه ، ويداعبه الأمل في العود السريع ، ولكن أنى له العود والإملاق يأخذ بناصيته ؟.

لم يضعف إيمان بدر ولم تتزعزع مبادئه رغم كل ما لاقاه من حرمان وتنكيل وتشريد بل ظل الثائر العنيف يهاجم الطغاة ، ويبعد اليأس عن النفوس ، ويبشر المحرومين المعذبين العطشى بقرب بزوغ الفجر ونزول الغيث فالمطر في شعره هو الثورة وأنشودة المطر هي أنشودة قافلة الأحرار المتطلعين إلى الاصلاح

ويجيء المطر بعد طول الانتظار ، وتشرق ثورة الرابع عشر من تموز ، وينطلق الشاعر معبراً عن بهجته ، فقد تحقق الأمل الذي طالما تمناه ، بهجة لم يقدّر لها أن تطول ، فقد انحرفت الثورة ، وقفز إلى سفينة الإصلاح طغاة جدد ، يسترخصون إراقة الدماء ، ويرتكبون من الجرائم مـــا تقشعرّ له الأبدان

ما من أجل استبدال ظلم بظلم ضحى الشاعر ، ولا من أجل القتل والسحل واهدار الكرامات والحرمات طالب بالثورة وحدث ما كان لا بد أن يحدث ، عارض بدر الانحراف فأمسى ضحية الثورة كما كان من قبل ضحيـة من قامت الثورة في وجهه !.. يلاقي من الاضطهاد والمطاردة والنكران مثل ما لاقاه من قبل إن لم يزد !..

ولم يكتف القَدَر بهذا القَدْرِ من الملاء يَصبُّه على هـذه النفس الثائرة المرهفة الإحساس ، بل أصابه بما يتضاءل معه كل ما مر من محن وعذاب ، بالشلل يتسلل الى جسمه عضواً فعضواً ، يعجزه عن كل حركة وإن لم يصل الى الذهن يعجزه عن التفكير أو القريحة يوقفها عن الجود بكل بديع معبر من الشعر

ولم يُجدِ علاج لهذا المرض الوبيل ، بل للمحنة التي طالت وزادها ظلمة تخلي الأصدقاء والمريدين ومن بلدٍ إلى بلدٍ طلباً للعلاج وسعياً وراء سراب الشفاء سافر السياب ليعود أخيراً إلى البصرة ، ثم إلى الكويت ، ليبتسم له القدر !.. لا بالشفاء ، ولا بالعيش الرغيد بل بأن يسوق إليه من يحنو عليه ويقدِّر عبقريته ويساعده في طبع ديوان له

ويشعر الشاعر بدنو ساعة الفراق – فراق أطفاله وهو الذي حرم في طفولته حنان الوالدين – فيذكرهم مشفقاً على حالهم من بعدِه في قصيدة هي الحنان واللوعة مذابة في كلمات وبين ألم المرض وألم توقع الفراق وألم الذكريات يقضي الشاعر الإنسان في الكويت ، لينقل جثمانه الى البصرة .. ويبقى شعره يملأ الدواوين ويحيي ذكراه ويمثل الثورة الحديثة التي صارت اتجاهاً أدبياً جديداً في الشعر له نقاده ومتبعوه ، كما يمثل آمالاً لهذا الجيل من أُمة العرب المتطلع الى حياة أفضل ، تظلها الحرية والعدالة والسيادة

إلى هذا الجيل العربي ، تقدم « **دار مكتبة الحياة** » ، أُنشودة بدر شاكر السياب ، « **أنشودة المطر** ». كما تقدم بعون الله كل دواوينه الحافلة الغنية بالقِيم الانسانية ، في طبعات جديدة حديثة .. والله الموفق

الناشر

غريبٌ على الخليج

الريح تلهث بالهجيرةِ ، كالجثام ، على الأصيلِ
وعلى القلوع تظل تُطوى أو تُنشَّرُ للرحيل
زحم الخليجَ بهنّ مكتدحون جوّابو بحارِ
من كلّ حافٍ نصف عاري
وعلى الرمال ، على الخليج
جلس الغريبُ ، يسرِّح البَصر المحيَّر في الخليج
ويهدُّ أعمدة الضياء بما يصعِّد من نشيجِ
« أعلى من العبَّاب يهدر رغوُهُ ومن الضجيجِ
صوتٌ تفجَّر في قرارة نفسي الثكلى عراق ،
كالمدِّ يصعد ، كالسحابة ، كالدموع الى العيون .
أَلريح تصرخ بي عراق ،
والموج يُعوِل بي : عراق ، عراق ، ليس سوى عراق !
أَلبحر أوسع ما يكون وأنت أبعد ما تكون
والبحر دونك يا عراق
بالأمس حين مررتُ بالمقهى ، سمعتك يا عراقُ

وكنتَ دورة أسطوانه
هي دورة الأفلاك من عُمُري ، تكوِّر لي زمانه
في لحظتين من الزمان ، وان تكن فقدت مكانه .
هي وجه أُمي في الظلامِ
وصوتُها ، يتزلَّقان مع الرؤى حتى أنام ؛
وهي النخيل أخاف منه إذا ادلهمَّ مع الغروب
فاكتظَّ بالأشباح تخطفُ كلَّ طفلٍ لا يؤوبُ
من الدروب ؛
وهي المفلِّية العجوز وما توشوش عن « حزام » [1]
وكيف شقَّ القبر عنه أمام « عفراءَ » الجميله
فاحتازها إلا جديله .
زهراء ، أنت أتذكرين
تنّورنا الوهّاج تزحمه أكف المصطلين ؟
وحديث عمتيَ الخفيضَ عن الملوك الغابرين ؟
ووراء بابٍ كالقضاء
قد أوصدته على النساء
أيدٍ تُطاع بما تشاء ، لأنها أيدي رجال ـ
كان الرجال يعربدون ويسمرون بلا كلال .

---

(١) هكذا أصبح اسم الشاعر العاشق عروة بن الحزام عند العامة الذين يروون قصة حبه لعفراء وموته ويرددون معاني قصيدته ، بشعر عامي .

أفتذكرينَ ؟ أتذكرين ؟
سعداءَ كنا قانعينَ
بذلك القَـصـصِ الحزين لأنه قصص النساء
حشْـدٌ من الحيَـوات والأزمان ، كنا عُنـْفُـوانه ،
كنا مَداريْـه اللذين بينهما كيانه
أفليس ذاك سوى هباء ؟
حُلـُمٌ ودورة اسطوانه ؟
إنْ كان هذا كلَّ ما يبقى فأين هو العزاء ؟
أحببتُ فيكِ عراقَ روحي أو حببتُـكِ أنتِ فيه ؛
يا أنتما ، مصباح روحي أنتما – وأتى المساء
والليل أطبق ، فلتشعّـا في دجاه فلا أتيه
لو جئتِ في البلد الغريب إليَّ ما كمل اللقاء !
أَلملتقى بك والعراقُ على يـديَّ هو اللقاء !
شوق يخضُّ دمي إليه ، كأنَّ كلّ دمي اشتهاء ،
جوع إليه .. كجوع كلِّ دم الغريق الى الهواء
شوق الجنين إذا اشرأبَّ من الظلام الى الولاده !
إني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون !
أيخون إنسانٌ بلاده ؟
إن خان معنى أن يكون ، فكيف يمكن أن يكون ؟
أَلشمس أجمل في بلادي من سواها ، والظلامْ

ـ حتى الظلام ـ هناك أجملُ ، فهو يحتضن العراق .
واحسرتاه ، متى أنامْ
فأحسّ أن على الوساده
من ليلك الصيفي طلاًّ فيه عطرُك يا عراق ؟
بين القرى المتهيِّباتِ خطاي والمدنِ الغريبه
غنَّيْتُ تُربتكَ الحبيبه ،
وحملتُها فأنا المسيحُ يجرُّ في المنفى صليبه ،
فسمعتُ وقع خطى الجياع تسيرُ ، تدمى من عُثار
فتذرُّ في عينيَّ ، منكَ ومن مناسمها ، غُبار
ما زلتُ أضرب ، مُترِب القدمين أشعثَ ، في الدروب
تحت الشموس الأجنبيّه ،
متخافقَ الأطمار ، أبسط بالسؤال يداً نديّه
صفراءَ من ذُلٍّ وحُمّى : ذلِّ شحّاذٍ غريبِ
بين العيون الأجنبيه ،
بين احتقارٍ ، وانتهارٍ ، وازورارٍ أو « خطيّه » [1] ،
والموت أهون من « خطيه » ،
من ذلك الإشفاق تعصره العيونُ الأجنبيه
قطراتِ ماءٍ .. معدنيّه !
فلتنطفي ، يا أنتِ ، يا قطراتُ ، يا دمُ ، يا نقودُ ،

---

(١) كلمة اشفاق في اللهجة العراقية (والكويتية) الدارجة

يا ريح ، يا إبراً تخيط لي الشراعَ ـ متى أعودُ
إلى العراق ؟ متى أعودُ ؟
يا لمعةَ الأمواجِ رنَّحهنّ مجدافٌ يرودُ
بي الخليج ، ويا كواكبه الكبيرةَ يا نقودُ !

ليتَ السفائنَ لا تُقاضي راكبيها عن سِفارِ
أو ليت أنَّ الأرضَ كالأفق العريضِ، بلا بحار !
ما زلتُ أحسب يا نقود ، أعدّكنَّ وأستزيد ،
ما زلتُ أُنقِصُ ، يا نقود ، بكنَّ من مُدَدِ اغترابي ،
ما زلتُ أُوقد بالتماعتكنَّ نافذتي وبابي
في الضفّة الأخرى هناك فحدثيني يا نقودُ
متى أعود ؟ متى أعودُ ؟
أتُراه يأزف ، قبل موتي ، ذلك اليوم السعيدُ ؟
سأفيقُ في ذاك الصباح ، وفي السماء من السحابِ
كِسرٌ ، وفي النسمات بَرْدٌ مُشبع بعطور آبِ ؛
وأُزيح بالشُؤَباء بُقيا من نعاسي كالحجابِ
من الحرير ، يشفُّ عما لا يبينُ وما يبينْ
عما نسيتُ وكدتُ لا أنسى ، وشكٍّ في يقين .
ويضيءُ لي ـ وأنا أمدُّ يدي لألبس من ثيابي ـ
ما كنتُ أبحثُ عنه في عتَمات نفسي من جواب

لِمَ يملأ الفرحُ الخفيُّ شعابَ نفسي كالضباب ؟
أليومَ ـ واندفقَ السرورُ عليَّ يفجأُني ـ أعودُ !

واحسرتاه .. فلن أعودَ الى العراق !
وهل يعودْ
من كان تُعْوزُهُ النقود ؟ وكيفَ تُدَّخَرُ النقودُ
وأنت تأكل اذ تجوع ؟ وأنت تُنفقُ ما يجودُ
به الكرام ، على المطعام ؟
لتبكينَّ على العراق
فما لديك سوى الدموع
وسوى انتظارك ، دون جدوى ، للرياح وللقلوع !

الكويت ١٩٥٣

مَرحى غيلان

ـ « بابا ... بابا »

ينساب صوتُكَ في الظلام ، إليَّ ، كالمطر الغضيرِ ،
ينساب من خَلَل النُعاس وأنت ترقد في السريرِ
من أيِّ رؤيا جاء ؟ أيِّ سماوةٍ ؟ أيِّ انطلاقِ ؟
... وأظلُّ أسبح في رشاشٍ منه ، أسبح في عبير .
فكأنَّ أوديةَ العراقِ
فتحتْ نوافذَ من رؤاكَ على سهادي كلُّ وادِ
وهبتْه عشتارُ الأزاهر والثمار كأنَّ روحي
في تربةِ الظلماءِ حبَّةُ حنطةٍ وصداكَ ماءُ
أعلنتِ بعثي يا سماءُ
هذا خلودي في الحياة تكنُّ معناه الدماءُ

« بابا » كأنَّ يد المسيح
فيها ، كأنَّ جماجم الموتى تُبرعِمُ في الضريحِ .
تموز عاد بكل سنبلةٍ تُعابث كلّ ريحِ .

« بابا ... بابا »

أنا في قرار بُويْبَ[1] أرقد ، في فراشٍ من رمالِهْ ،
من طينه المعطور ، والدمُ من عروقي في زلاله
ينثال كي يهبَ الحياة لكل أعراق النخيلِ .
أنا بَعْلُ أخطر في الجليلِ
على المياه ، أنثُّ في الورقات روحي والثمارِ
والماء يهمس بالخرير ، يصلُّ حولي بالمحار
وأنا بُوَيْبُ أذوب في فرحي وأرقد في قراري .

« بابا بابا ... »
يا سُلَّم الأنغام ، أيَّةُ رغبةٍ هي في قرارِكْ ؟
« سيزيف » يرفعها فتسقط للحضيض مع انهيارِك
يا سُلَّمَ الدم والزمان من المياه الى السماءِ
غيلانُ يصعد فيه نحوي ، من تراب أبي وجدي
ويداه تلتمسان ، ثَمَّ ، يدي وتحتضنان خدِّي
فأرى ابتدائي في انتهائي .
« بابا ... بابا »
جيكور[2] من شفتيكَ تولَد ، من دمائِكَ ، في دمائي
فتُحيل أعمدةَ المدينه

---

(١) بويب نهر في قرية الشاعر
(٢) جيكور قرية الشاعر في جنوب العراق .

أشجار توتٍ في الربيع . ومن شوارعها الحزينه
تتفجَّرُ الأنهار ، أسمع من شوارعها الحزينه
وَرَقَ البراعم وهو يكبر أو يمصُّ ندى الصباحِ
والنُّسْغَ في الشجرات يهمس ، والسنابلَ في الرياح
تَعِدُ الرَّحى بطعامهنّ
كأنّ أوردةَ السماءِ

تتنفَّسُ الدم في عروقي والكواكب في دمائي .
يا ظلِّي الممتدَّ حين أموت ، يا ميلاد عمري من جديدِ
الأرضُ (يا قفصاً من الدم والأظافر والحديدِ
حيث المسيح يظلُّ ليس يموت أو يحيا كظلٍّ ،
كيدٍ بلا عَصبٍ ، كهيكل ميتٍ ، كضُحى الجليد ،
النور والظلماءُ فيه متاهتان بلا حدودِ)
عشتار فيها دون بَعْلِ
والموت يركض في شوارعها ويهتف يا نيامُ
هبّوا ، فقد وُلِدَ الظلامُ [1]
وأنا المسيح ، أنا السلامُ
والنار تصرخ يا ورود تفتّحي ، وُلِدَ الربيعُ
وأنا الفُرات ؛ ويا شموعُ

---

(١) كان كهنة ايزيس ينطلقون ، في منتصف ليلة ٢٥/١٢ من كل عام ، هاتفين في شوارع الاسكندرية لقد وضعت العذراء حملها وقد ولدت الشمس

رشّي ضريحَ البَعْل بالدم والهُباب وبالشحوب
والشمس تُعْوِل في الدروب
بردانةٌ أنا والسماء تنوء بالسُحُب الجليد .

« بابا بابا »
من أيِّ شمس جاء دفْؤُك أيِّ نجمٍ في السماء ؟
ينسلُّ للقَفَص الحديدِ ، فيرقُ الغدُ في دمائي ؟

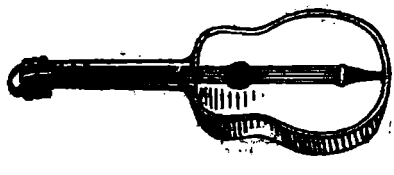

أغنية في شهر آب

تموز يموت على الأفُق
وتغور دماه مـع الشفق
في الكهف المعتم والظلماء
نقّالة إسعاف سوداء
وكأن الليل قطيع نساء
كحلٌ وعباءاتٌ سودُ
أللّيل خباء
أللّيل نهار مسدودُ

ناديت مربّية الأطفال الزنجيّه
أللّيل أتى يا مرجانه
فاضيئي النور وماذا ؟ إني جوعانه .
و .. نسيت ـ أما من أغنيّه ؟
بم يهذر هذا المذياعُ ؟

في لندن ، موسيقى جازٍ ، يا مرجانه ،
فاليها إني فرحانه
والجاز من الدم إيقاعُ

تموز يموت ومرجانه
كالغابة تربض بردانه

وتقول ، ويخذلها النَّفَسُ
« أَلليل ، الخنزيرُ الشرسُ ،
أَلليل شقاءْ ! »
مرجانة هل قرع الجرسُ
فتقول ، ويخذلها النَّفَسُ
« في الباب نساء »
وتعد القهوة مرجانه

وعلى الأكتاف البيض فراءْ
أَلذئب يدثّر إنسانه ،
وعلى الأثداء من النّمرِ
شرق يتسلّل ، ملء الغابْ ، من الشجرِ
والليل يطول مع السمر

الليل كتنور ـ من أشباح البشر
خبزٌ يتنشق نيرانـه
والضيفة تأكل جوعانـه
من هذا الزاد ومرجانه
كالغابـة تربض بردانـه

والضيفة تضحك وهي تقول « خطيب سعادْ
جافاها ، وانطوت الخطبه !
ألكلب تنكّـر للكلبه »
تموز يموت بدون معاد ،
والبرد ينتّ من القمر
فتلوذ بمدفأة من أعراض البشر
والليل يطفّـىء شطآنه
والضيفة تقبع بردانه
وفراء الذئب تغطيها ،
وتطفأت النيران اللاتي كانت بالدم تذكيها

ليلٌ وجليد
يتساقط عبرهما صوتٌ ، رنّـات حديدْ
وعواء ذئاب يخفيها

ألصوت بعيد
والضيفة مثلي بردانه .

فتعال وشاركني بردي
بالله تعالْ
يا زوجي ، ها إني وحدي
ـ والضيفة مثلي بردانه ـ
فتعال تعالْ
فأمامك وحدك أقدر أن أغتاب الناس بلا استثناءْ
بالله تعالْ
فالناس كثيرٌ والظلماءْ
نقّالة موتى سائقها أعمى ، وفؤادك جبّانه

غارسيا لوركا

في قلبـه تنّـور
ألنار فيه تطعم الجياع
والماء من جحيمه يفور :
طوفانه يطهّـر الأرض من الشرور
ومقلتاه تنسجان من لظى شراع
تجمعان من مغازل المطر
خيوطه ، ومن عيون تقدح الشرر
ومن ثديّ الامهات ساعة الرضاعْ
ومن مُدى تسبل منها لذة الثمر
ومن مُدى للقابلات تقطع السررْ
ومن مدى الغزاة وهي تمضغ الشعاع
شراعه النديّ كالقمرْ
شراعه القوي كالحجر
شراعه السريع مثل لمحة البصر

شراعه الأخضر كالربيع
ألأحمر الخضيب من نجيع
كانه زورق طفل مزّق الكتاب
يملأ مما فيه ، بالزوارق النهر ،
كانه شراع كولمبس في العبابْ
كانه القدر

تعتيم

حين يذرّ النّورْ
– يلقي به التنور –
عن وجهك الظلماء
ويهمس الديجورْ
آهاته السمراء
على محيّاكِ
تهجس عيناكِ
بكلّ حزن الدهور
وكلّ أعيادها :
أفراح ميلادها
وغمغمات النذور
وزهرها والخور !

النور والظلماء
أسطورة منحوتة في الصخورْ

كم ذادَ بالنّـارِ ،
من أسدٍ ضاري
وكم أخاف النمور ،
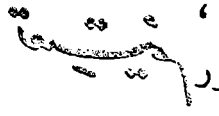
إنسان تلك العصور
بالنّـور والنّـارِ !
فاطفئي مصباحنا أطفئيه
ولنطفىء التنورْ
وندفن الخبز فيه ،
كي لا تعيد الصخورْ
أسطورة للنار ، ظلّت تدور
حتى غدا أول ما فيها
آخر ما فينا ـ وليلِ القبور
اوّل ما فيها ـ
ولْـنبق في الديجور

كي لا ترانا نمور
تجوس في الظلماء
لترجم الأحياء
ـ من غابة في السماء ـ
بالصخر والنار
وتستبيح القبور !

المجبر

أنا ما تشاء أنا الحقير
صبّاغ أحذية الغزاة ، وبائع الدم والضمير
للظالمين . أنا الغراب
يقتات من جثث الفراخ . أنا الدمار ، أنا الخراب !
شفة البغيّ أعفّ من قلبي ، وأجنحة الذباب
أنقى وأدفأ من يديّ كما تشاء ... أنا الحقير !
لكنّ لي من مقلتيّ ـ إذا تتبّعتا خطاك
وتقرّتا قسمات وجهك وارتعاشك ـ إبرتين
ستنسجان لك الشراكْ
وحواشيَ الكفن الملطّخ بالدماء ، وجمرتين
تروّعان رؤاك إن لم تحرقاكْ !
وتحول دونهما ودونك بين كفيّ الجريده
فتندّ آهتك المديده
وتقول : « أصبح لا يراني » بيد أن دمي يراك
إني أحسّك في الهواء وفي عيون القارئين

لِمَ يقرأون لأنّ تونسَ تستفيق على النضال ؟
ولأن ثوّار الجزائر ينسجون من الرمالْ
ومن العواصف والسيول ومن لهـاث الجائعين
كفنَ الطغاة ؟ وما تزال قذائف المتطوعين
يصفرن في غسق القنال ؟
لِمَ يقرأون وينظرون إليَّ حيناً بعد حين
كالشامتين ؟
سيعلمون من الذي هو في ضلالْ
ولأيّـنا صدأُ القيود ... لأيّـنا صدأ القيود
لأيّـنا ـ
نهض الحقـــير
وسأقتفيه فما يفرّ ، سأقتفيه الى السعير
أنا ما تشاء أنا اللئيم ، أنا الغبيّ ، أنا الحقود
لكنّـما أنا ما أريد أنا القويّ ، أنا القدير
أنا حامل الاغلال في نفسي ، أقيّـد من أشاءُ
بمثلهنّ من الحديد ، واستبيح من الخدود
ومن الجباه أعزُهنّ . أنا المصير ، أنا القضاء
أَلحقدُ كالتنور فيَّ إذا تلهَّـب بالوقود
ـ الحبر والقرطاس ـ أطفـأ في وجوه الامّـهاتْ
تنورهنّ ، وأوقف الدم عن ثديّ المرضعات

في البدء كان يطيف بي شبَحٌ يقال له الضمير
أنا منه مثل اللصّ يسمع وقع أقدام الخفير
شبَحٌ تنفّس ثمّ مات
واللصّ عاد هو الخفير
في البدء لم أكُ في الصراع سوى أجير
كالبائعات حليبهنّ ، كما تؤجَّر ـ للبكاء
ولندب موتى غير موتاهنّ ـ في الهند النساء .
قد أمعنَ الباكي على مضضٍ، فعاد هو البكاء !

ألخوف والدمُ والصَّغار فأي شيء أرتجيه ؟
فعلى يديَّ دمٌ وفي أذنيّ وهْوهة الدماء
وبمقلتيّ دمٌ ، وللدّم في فمي طعمٌ كريه !
أثقلْ ضميرك بالآثام فلا يحاسبك الضمير
وانسَ الجريمة بالجريمة والضحيّة بالضحايا
لا تمسح الدم عن يديك فلا تراه وتستطير
لفرط رعبك أو لفرط أساك واحتضن الخطايا
بأشدّ ما وسع احتضانٌ تنجُ من وخز الخطايا

قوتي وقوتُ بنيّ لحمٌ آدميّ أو عظام
فليحقدنّ عليّ ، كالحمم المستعرّة ، الأنام
كي لا يكونوا إخوةً لي آنذاك ، ولا أكون

وريث قابيل اللعين ـ سيسألون
عن القتيـل فلا أقول
« أأنا الموكّـل ، ويلـكم بأخي ؟ » فإن المخبرين
بالآخرين موكّـلون !

سحقاً لهذا الكون أجمع وليحلّ به الدمارْ !
مالي وما للناس ؟ لست أباً لكل الجائعين
وأريد أن أروى وأشبع من طوىً كالآخرين
فلينزلوا بي ما استطاعوا من سبابٍ واحتقار
لي حفنة القمح التي بيدي ودانية السنين
ـ خمسٌ وأكثر أو أقلّ ـ هي الربيع من الحياة
فليحلموا هم بالغد الموهوم يبعث في الفلاة
روحَ النماء ، وبالبيادر وانتصار الكادحين !
فليحلموا إن كانت الأحلام تُشبع من يجوع .
إنّـي سأحيا لا رجاء ولا اشتياق ولا نزوع ،
لا شيء غير الرعب والقلق الممضّ على المصير
ساء المصير !
ربّاه ، إن الموت أهون من ترقُّبهِ المرير
ساء المصـــير
لِمَ كنت أحقر ما يكون عليه انسانٌ حقير ؟ !

عرس في القرية

مثلما تنفض الريحُ ذرَّ النُضارْ
عن جناح الفراشة ، مات النهار ـ
ألنهار الطويلْ
فاحصدوا يا رفاقي ، فلم يبق إلاَّ القليل
كان نَقْرُ الدَّرابكِ منذ الأصيل
يتساقط ، مثلَ الثمار ،
من رياح تهوَّم بين النخيل ـ
يتساقط مثل الدموع
أو كمثلِ الشرار :
إنها ليلة العُرس بعد انتظار !
مات حبٌّ قديمٌ ، ومات النهار
مثلما تُطفىءُ الريح ضوءَ الشموع
ألشموع ... الشموع ،
مثل حقل من القمح عند المساء ،
من ثغور العذارى تعبُّ الهواء ،

حين يرقصن حول العروس
منشداتٍ: « نوار ، اهنئي يا نوار !
حلوةٌ أنتِ مثل الندى ، يا عروس »
يا رفاقي ، سترنو إلينا نوار
من علٍ في احتقار .
زهّدتها بنا حفنةٌ من نُضار :
خاتمٌ أو سوار ، وقصرٌ مشيدْ
من عظام العبيد
وهي ، يا ربٌّ ، من هؤلاء العبيد !
ولو انّا وآباءنا الأولين
قد كدحنا طوال السنين
وادّخرنا ـ على جوع أطفالنا الجائعين ـ
ما اكتسبناه في كدّنا من نقود ،
ما اشترينا لها خاتماً او سوار !
خاتمٌ ضمّ في ماسه الازرقِ
من رفات الضحايا مئات اللحود
اشتراها به الصيرفيُّ الشقي .
مثلما تنثر الريح عند الاصيل
زهرة الجلّنار ـ
أقفر الريفُ لمّا تولّت نوار .

بالصبابات ، يا حاملاتِ الجرار
رحْن واسألنَها « يا نوار
هل تصيرين للأجنبي الدخيل ؟
للذي لا تكادين أن تعرفيه ؟
يا ابنة الريف ، لم تنصفيه !
كم فتىً من بنيه
كان أولى بأن تعشقيه ؟
إنهم يعرفونك منذ الصغر
مثلما يعرفون القمر
مثلما يعرفون حفيف النخيلْ
وضفاف النهر
والمطر
والهوى ، يا نوار ... »
احصدوا يا رفاقي ، فإن المغيب
طاف بين الروابي يرش اللهيب
من أباريق مجبولة من نضار ،
والزغاريد تصدي بها كل دار :
أوقد القصر أضواءه الاربعين ،
فاتبعوني اليها مع الرائحين .
اتركوني أغني امام العريس

وأراقص ظلي كقرد سجين
وأمثّـل دور المحب التعيس
ضاحكاً من جراحات قلبي الحزين ،
من هواي المضاع ،
من قلوب الجياع
حين تَهوى ، ومن ذلة الـكادحين
سوف آكلُ حتى ينزَّ الدمُ
من عيوني فما زال عندي فمُ
كل ما عندنا نحن ، هذا الفمُ !
كان وهماً هوانا ، فان القلوب
والصبابات وقفٌ على الاغنياء !
لا عتابٌ فلو لم نكن اغبياء
ما رضينا بهذا ، ونحن الشعوب

مرثية الآلهة

بلينـــا وما تبـــلى النجوم الطوالعُ [1]
ويبقى اليتـــامى بعدنا والمصـــانع
ويبقى «كربٌ» [2] الجالب الكربَ: كالصدى
يغصّ المنادي بالردى، وهو راجـــعُ
كأنّ الأميبى [3] توأمٌ وهـــو توأمٌ
لهـــا، فهو في منجى من الموت قابع
ولكنـــه الفـرد الذي يزحف الورى
الى حيث ترمي مقلتيـــه المطـــامع
أعنقـاءُ من صحراء نجـــدٍ تقحّمت
بهـا مغرب الشمس البعيـــد الزعازعُ
أم انسلّ من أهرام فرعون هاجـــعُ
وقتْـه انتقـاصَ الدود منه، المبـاضع ؟
ومن ليس يحيـا لن يرى وهو هـالكٌ
فلو كان يحيـــا ما عدته الفواجـــع

---

(١) لم توضع الأبيات المضمنة بين أقواس، وانما اكتفي بالاشارة اليها
(٢) كرب Krupp صاحب معامل الاسلحة الالمانية الشهيرة.
(٣) الاميبى حيوان ذوخجيرة واحدة، وهو خالد لا يموت لانعدام شخصيته.

وما كان إلا اسماً « كربٌ » ابن مثله
به يُدمغ اثنانِ الورى والبضائعُ
ولكنه اسْمٌ بالأسامي يغتذي
تهجّاه زفّار اللّظى والمدافعُ
تمنّيت أني آلةٌ لا يُصيبها
كلالٌ ولا وقتٌ بها مر ضائعُ
لها من دماء الناس قوتٌ وخلفها
من المال عن أن ينفد القوت مانعُ
وما تخطىء الآلات في الجمع تارةً
وفي الطّرح ، إن يخطىءْ من الناس جامعُ
ولا عاقبتها عصبةٌ من ورائها
علينا عقابٌ برّئوا منه ، واقعُ
ألا كم رفعنا من إلـهٍ وكم هوى
إلـهٌ وأضحى ثالث وهو رابعُ
فما جاوزتْنا صورةٌ منه خطّها
على غفلةٍ منا مُجيعٌ وجائعُ
وما كان معبوداً سوى ما نخافه
ونرجوه أو ما خيَّلته الطبائعُ
فتموز مثل اللاّتِ ، والرعد ما رمى
بغير الذي تُطوى عليه الأضالعُ

وكم ألّه التمر التهـــامي معشرٌ
لما ليس يحيـــا دونه النـــاس راكعُ
فلمّـــا شكا بُعـــد الأثافيّ قِدرهـــا
وضنَّت على الشّدق الحَفي المراضعُ
كفى كل ثغرٍ كان يدعو ه جوعه
إلـهٌ أحاطتـــه المُـــدى والأصابع
دمي هـــذه الخمر التي تشربونهـــا
ولحمي هو الخـــبز الذي نال جـــائع
ولمـــا تشظَّى قلب نرسيس وانثنى
يلمّ الشظـــايا منـه شارٍ وبائـــعُ
وغذَّى بها القلب الذي حين ذاقهـــا
نمـــا فيه ناباً كوْسَجٍ فهـــو قاطعُ
دوى كلُّ عـــالٍ من إلـه وسافلٍ
الى حيث مـا من راحـــلٍ ثمَّ راجعُ
وأفضى الى العرش السديميّ مغدقٌ
بما امتاح من أحداق «ميدوز»[1] لامع
هـــو الشمس الاَّ أنَّ في زمهريره
من الموت ظـــلاًّ حجَّبته البراقـــع
جزى أُمّه الأرض التي من عروقهـــا
ربا واغتذى في جوفهـــا وهو هاجعُ

(١) ميدوز هولة في أساطير الاغريق تحيل من تلتقي عينه بعينها الى صخر.

بشر الذي يُجزى به شر من غـــذا
وأروى ، ويجزاه العـــدوُّ المنـــازع
فأدمى بنيهـــا وارتعى من بناتهـــا
حقولاً ترجَّى ، فهي شوهٌ بلاقـــع
كقابيــــل يعتـال الأشقـاء ، راكلٌ
– كَوديب – للخـــبز الإلهي صافِـع
وهـذا الإلـه الأملس الفظّ مـا جلا
لنرسيس يجثو عنــــده وهـو خاشعُ
سوى وجـــه نرسيس الرخاسي ، شابه
شحـوبٌ يهـوذيٌّ التـلاوين ناقـــع
وأوفى مـن الأرباب جيـل يئمّــه
عـــلى قمّـة الأولمب ربٌّ مخـــادع
ترى « فحم » إذ يلقاه يَلـْقاه راجفـــاً
و « فولاذ » من تلمـــاح عينيه مائعُ [1]
ويا عهـد كنّا كابن حلاّج واحــــداً
مع الله إن ضـــاع الورى فهـو ضائع
أكلّ الرّجـال الجوف أبـــ يملأوا به
خواء الحشا هــــذا الإله المضـــارع
فعادَ الفقـــير الرّوح من ليس كاسيـاً
به ظاهراً منّـا فحلّ التنـــازعُ

(١) جرّدت من الفحم والفولاذ شخصين لإلهين من الارباب الجدد ، أتباع زيوس الجديد – الذهب – وعاملتهما كاسمي علم ، ومنعتهما من الصرف

مِن رُؤيا فوكايي

[فوكاي ، كاتب في البعثة اليسوعية في هيروشيما ، سُجن
من هول ما شاهده غداة ضربت بالقنبلة الذرية]

١ - هياي .. كونغاي ، كونغاي[١]

ما زال ناقوس أبيكِ يُقلق المساءْ
بأفجع الرثاء
« هياي .. كونَـغاي ، كونغايْ » ،
فيفزع الصغارُ في الدروبْ
وتخفق القلوب
وتغلق الدُّور ببكّين وشنغهايْ
من رَجع كونَـغاي ، كونَـغاي .!

---

(١) تحدثنا إحدى الاساطير الصينية عن ملك اراد ناقوساً ضخماً يصنع من الذهب ، والحديد ، والفضة ، والنحاس . وكلف أحـد الحكام بصنعه . ولكن المعادن المختلفة أبت ان تتحد واستشارت كونغاي - وهي ابنة ذلك الحاكم - العرافين بالأمر فأنبأوها بأن المعادن لن تتحد ما لم تمتزج بدماء فتاة عذراء .. وهكذا ألقت كونغاي بنفسها في القدر الضخمة التي تصهر فيهـا المعادن .. فكان الناقوس .. وظل صدى كونغاي يتردد منـه كلما دق : « هياي .. كونغاي ، كونغاي » .

فلتُحرقي وطفلكِ الوليد ،
ليجمع الحديد بالحديد
والفحمَ والنحاس بالنُّضار
والعالمَ القديم بالجديد
آلهة الحديدِ والنحاس والدّمار ،
أبوك رائدُ المحيطِ ، نامَ في القرار
من مقلتيه لؤلؤٌ يبيعه التجار[1]
وحظكِ الدُّموع والمحار
وعاصف عاتٍ من الرصاص والحديد
وذلك المجلجلُ المرنُّ من بعيد
لمن ، لمن يدقّ « كونَغاي ، كونَغاي » ؟
أهمّ بالرَّحيلِ في « غرناطة » الغجرْ ؟
فاخضرَّت الرياحُ ، والغديرُ ، والقمرْ ؟[2]
أم سمَّر المسيحُ بالصليب فانتصر
وأنبتتْ دماؤه الورود في الصخرْ ؟

---

(١) شكسبير – العاصفة أغنية « أريل » – روح الهواء الذي سخره « بروسبيرو » الساحر – لفرديناند « على عمق اذرعة خمس ينام ابوك في قرارة البحر ، لقد أصبحت عيناه لؤلؤتين اسمع ها هو الناقوس ينعاه » وقد اتخذه ت. س. إليوت في قصيدته الكبرى « الأرض الخراب » رمزاً عن « الحياة من خلال الموت » ولكن لاحظ كيف حولت « يبيعه التجار » المعنى !

(٢) هذا البيت مقتبس من قصيدة للشاعر الاسباني القتيل لوركا ، شاعر الغجر

أم أنها دماءُ كونَغاي ؟
ورغم أن العالمَ استسرّ واندثر[1] ،
ما زال طائرُ الحديد يذرعُ السماء ،
وفي قرارة المحيطِ يعقدُ الكرى
أهداب طفلكِ اليتيم – حيثُ لا غِناءْ
إلاّ صراخ « البابيون » « زادُك الثرى ،
فازحفْ على الأربع فالحضيض والعلاء
سيّان ، والحياة كالفناء ! »
سيّانِ « جنكيزُ » ، و « كونَغايْ »
هابيلُ قابيلُ ، وبابلٌ كشنغَهاي ،
وليست الفضّة كالحديد !
هياي كونغاي ، كونغاي !
الصين حقلُ شايْ ،
وسوقُ شنْغهاي

---

(١) هذا البيت والابيات الستة التي تليه – تكاد تكون حرفية – عن الشاعرة الانكليزية ايديث ستويل من قصيدتها الرائعة ترنيمة السرير Lullaby حيث تجلس البابيون –القردة– في قاع المحيط تهزّ مهد طفل بشري –قتل « طائر الحديد » أمه– وتغني له مصبحة بهذا –وهي القردة– أماً للطفل البشري ومعلمة له ايضاً .

وليلاحظ قراء قصيدتي هذه ان هناك شخوصاً ثلاثة تترابط في ذهني : الصياد الياباني – او الصيني – الغريق الذي اخاطب ابنته، وابو «فردينانند» –الذي زعم اريل انه غرق– ، والقردة « البابيون » التي اتخذت مكان ام الطفل في قرارة المحيط ، كما جاء في قصيدة ايديث ستويل .

يعجُّ بالمزارعين قبلَ كلِّ عيد .
هياي ... كونـَغاي ، كونغاي !

٢ – تسديد الحساب

تلك الرواسي كم انحطَّ النهارُ على
أقصى ذُراها، وكم مرَّت بها الظلَمُ
فما فرحن بآلافِ الشموسِ ، ولا
من ألفِ نجمٍ تردّى مسَّها ألم
صمَّاءُ، بكماء ، لم تأخذ، ولا وهبتْ
ولا ترصَّدها موت ولا هرم
لو أودع اللهُ إياها أمانته
لنالهنّ على استيداعها ندمُ
ولاقتسمن مع الأحياء ما دفعت
من جزيةٍ لا تُوفّى حين تُقتسم :
عن كلِّ قهقهةٍ من صرخةٍ ثمنٌ
وما استجدَّ دمٌ إلا وضاع دم
وما تحمَّل آلام المخاض ولم
يقرب من النور إلاَّ الفكرُ والرحم
وان يكن أسعد الاحياء أكملها
فإنما هو أشقاهنَّ لا جَرمُ ؟

«قابيلُ» باقٍ وإن صارت حجارته
سيفاً ، وإن عادَ ناراً سيفُـه الخذِم
وردَّ « هابيـلُ » ما قاضاه بارئه
عن خَلقهِ ، ثمَّ ردَّت باسمه الأمـمُ
واليوم ،في حين وفّـى الدّينَ غارمُه
إلا بقـايا وكادت تخلص الذِّمم
وكاد يُرجع للدنيـا بشاشتهـا
ما قرَّبته الضحـايا وهي تبتسمُ
مشى على الأرض خلقٌ عاش في دمه
من وحشها في المخاض الاولِ الضرم
خَلقٌ تراءى لـ«يحيى»[1] ساعة افترست
عينيه رؤيا لها مِن هؤلاء فمُ
لو يُقبض النورُ بالأيدي لسوَّره
دونَ الورى.. وَلْتعمَّ العالم الظّـلم
ريّـانُ عطشانُ لا يروى، بلا فرحٍ
جذلانُ ، بادٍ عليه الجوع والبشمُ
كأنه ــ وهو ماض في غوايته ــ
من نفسه اقتصَّ ، فهو الماءُ والحممُ
تفجر الضَّحِـكُ المسلوبُ من رئةٍ
منخوبةٍ بعد أُخرى هدَّها السّـقم

---

(١) القديس يوحنا – كما يسميه المسيحيون

عن ضحكة أطلقوها فهي صاعقةٌ
أصابهم والورى من رجعها صمم
واستنزفوا متعةَ الاحياء: ما دفعوا
عنها، ولا غارماً ما استنزفوا رحموا
ثم استزادوا فإن لم يذهبوا ديةً
أو يقصروا عن طماحٍ يرجحِ العدمُ !

٣ – حقائق كالخيال[١]

ماذا تريد العيون السود من رجلٍ
قد حاشَ زهرَ الخطايا حين لاقاها
زهراً على جسمي المحمومِ أقطفه
في باقةٍ من جراحٍ بثَّ أصلاها
هذا الربيع الذي تهدي شقائقه
ريح المنايا الى قلبي بريّاها
أزهارُ تموز[٢] ما أرعى أسلِّمه
في عتمةِ العالم السُّفليِّ اياها ؟

---

(١) المتحدث في هـذه القصيدة مريض في مستشفى الصليب الاحمر في هيروشيما، مصاب بالزهري الذي افترس دماغه حتى عاد يتخيل اشياء لا وجود لها ، ولكنه – من خلال اوهامه ودون وعي منه – يصور جانباً مما حدث في هيروشيما حين القيت عليها القنبلة .

(٢) تموز هـو ادونيس إله الخصب والنماء ، وحبيب عشتروت – أو فينوس – إلهة الحب . وهو يقضي نصفاً من السنة – الشتاء – في العالم السفلي مع برسفون ، والنصف الآخر – الصيف أو الربيع – على الارض مع فينوس .

أم صِلّ حوّاء بالتفّاح كافاني
وهو الذي أمسِ بالتفاح أغواها ؟
ماذا تريد العيون السود ؟ انّ لها
ما لستُ أنساه منها حين أنساها
ما بالهنّ استعَضن البومَ أوعيةً
عن أوجه الغيد.. حتى ضاع معناها ؟
أين المناقيرُ من لعس مراشفها
ربّي ؟ وأين ابتسام كان يغشاها
مِن هذه الخربةِ الظلماء محدِقة
بي أعين البومِ من أجداثِ موتاها ؟
قفراءُ من غيرِ ثكلى شفّ مئزرها
عن وهجِ فانوسها الكابي وأخفاها
تسعى كما اصطادَ في ليلٍ يراعتَه[1]
طفلٌ ، وطارت وقد ألوى جناحاها
محنيّة تتقرّى كل شاهدةٍ
من كلّ قبرٍ ، كما لو كان طفلاها
في كلّ قبرٍ يذوقان الردى ديةً
عمّن يؤاوي وعن أحياء دنياها
نادتهما فانبرى يزقو لصيحتها
ـ من حيث ردّ الصدى ـ بُومٌ وناداها:

---

(١) اليراعة ذبابة مضيئة ، حباحب

« أُمّاه إنا هنا ريحٌ بنا عصفت
لم ندرِ أين انتهينا بعد لقياها »
وانشقّ من خلفها قبرٌ ليبلعها
واحتازها واشرأبّت منه كفّاها
يختضّ فانوسها الْتمتامُ بينهما
والريحُ خرساء تعبى
غيرَ « ها .. ها .. ها »

ويْلمّ سازاك[1] كيف اندكّ حائطه
حتى تعرّى ليَ السهلُ الذي حجبا ؟
سهلٌ يكنّ الصلالَ الرّقْط ، أجهضه
عادٍ من المحل حتى يفزع العطبا
وانبحّت التربةُ العجفاء ـ من عطش ـ
عن أشدقٍ فاغراتٍ تنبح السحبا
والشمس كالأطلس[2] المسعور تنهشه
والريحُ تصليه من تنورها لهبا
ألريح ؟ لا، ليست الريح التي ركضت
بيضاءَ سوداء رقطاء القفا عجبا

---

(١) الدكتور سازاكي كان طبيباً في مستشفى الصليب الاحمر في مدينة هيروشيما .
(٢) الأطلس الذئب .

عنقـاء[1] في مِسعر الجوزاء أعينُـها
والصخر يرفضّ من أظلافها شهبا
تلك الزرافات[2] في السهل العقيم لها
مرعى روى من سرابٍ ،ينبت السّغبا
ما روّعتها سوى ضوضاء خشخشة
في كفٍّ أبرص يعدو خلفها خببـا
تخفيه عنهـا ضماداتٌ ، ويظهـره
ما نزَّ من قيحه الدامي وما شخَبا
نادى ، وكفّـاه تختضّـان ، «واحرَبا»
فاستعبر العاصف الصدور «واحربا»
«ماء اسْقِ يا ماء .. » تلهاثٌ مقاطعه
منزوعة من لسان يشبـــه الخشَبا
حتى استجاب السحاب الجوْن فانعقدت
في الجوّ حبّاته الغبراء فاحتجبا
وانهلَّ لا عن ندى صافٍ ولا مطر
بل عن دم ، من ثُدي مزّقت حُلبا
أو عن مشاش من الاحداق فقّـأها
سِيخٌ لجنكيزَ[3] دامٍ ينفث اللهبا

---

(١) عنقاء طويلة العنق ،
(٢) الزرافات جمع زرافة ، الحيوان المعروف
(٣) جنكيزخان السفاح المشهور .

«ماء، اسق يا ماء..» والغيث الرهيب كلىً
مَفرية سحّت الآجال والكرَبا

لم يبقَ من مرتوٍ او ظامىءٍ، بفمٍ
أو دونَ ..، إلا ومن ماء الردى شربا

ويلٌ لسازاك! ماذا ينْتوي بدمي
من نيّةٍ فهو يستصفي ويختار؟

تلك الزجاجات أشلاء مجزأة
مني، دمي مختزٍ فيهن موّار!

لم تثن سازاك عن شحذٍ لمديته
آهات مرضى، ولا ألهاه زوّار

إني لدارٍ بأني حين يشرعها
رانٍ اليها، فملدوغٌ، فمُنْهار

هل تبتغي شفرتاها غير آنيةٍ
فيها دمي راجفٌ، والداء والعار؟

ما كنت يوماً ولا المرضى سوى عَرضٍ
ـ في عين سازاك ـ يُجبى منه ايجار

ست وعشرون أعدادٌ على سررٍ
أما الأصحاء والمرضى فأصفار!

فالرقم «عشرونَ» لا يسقى سوى لبنٍ
والرقم « عشرٌ » نعاه اليوم محرارُ
واليوم لم يبقَ ما اعطيه عن مرضٍ
إلا دعائي وقولي « نِعمتِ الدارُ » !
فليلْقَ سازاكُ من يسمى « ثمانية »
غيري ، وبستوفِ أجرَ القبرِ حفارُ !

قافلة الضياع

أرأيتَ قافلة الضّياع ؟ أما رأيت النازحين ؟
أَلحاملين على الكواهل ، من مجاعات السنين
آثامَ كل الخاطئين
أَلنازفين بلا دماءْ
أَلسائرين الى وراءْ
كي يدفنوا « هابيل » وهو على الصليب ركام طين ؟
« قابيل ، أين أخوك ؟ أين أخوك ؟ »
جمّعت السماءْ
آمادَها لتصيح . كوّرت النجوم الى نداءْ
« قابيل ، أين أخوك ؟ »
ـ « يرقد في خيام اللاجئين
السلّ يُوهن ساعديه ، وجئته أنا بالدواءْ
والجوع لعنة آدم الاولى وإرثُ الهالكين
ساواه والحيوان ثم رماه أسفل سافلين
ورفعته أنا بالرغيف ، من الحضيض الى العلاءْ »

أللّيل يُجهض ، والسفائن مثقلات بالغزاه
بالفاتحين من اليهود
يلقين في حيفا مراسيهنّ ـ كابوس تراه
تحت التراب محاجر الموتى فتجحظ في اللحود
أللّيل يجهض فالصباح من الحرائق .. في ضحاه
أللّيل يجهض فالحياه
شيء ترجّح لا يموت ولا يعيش بلا حدودْ
شيء تفتّح جانباه على المقابر والمهود
شيء يقول « هنا الحدود !
هذا لكل اللاجئين ، وكل هذا لليهودْ ! »

أللنار تصرخ في المزارع والمنازل والدروب
في كل منعطف تصيح « أنا النضار ، أنا النضار »
من كل سنبلة تصيح ومن نوافذ كل دار
« أنا عجل « سيناء » الإله ، أنا الضمير ، أنا الشعوب
أنا النضار ! »
أللنار تتبعنا ، كأنّ مدى اللصوص وكل قطّاع الطريقْ
يلهثن فيها بالوباء ، كأن ألسنة الكلاب
تلتزّ منها كالمبارد وهي تحفر في جدار النور بابْ
تتصبّب الظلماء كالطوفان منه ؛ فلا ترابْ

لِيُـعاد منه الخلق ، وانجرف المسيـح مع العبابْ
كان المسيـح بجنبه الدامي ومئزره العتيقِ
يسدّ ما حفرته ألسنة الكلاب
فاجتاحه الطوفان حتى ليس ينزف منه جنب أو جبينْ
إلا دجى كالطين تبنى منه دور اللاجئين
ألنار تركض كالخيول وراءنا أهمُ المغولُ
على ظهور الصافنات ؟ وهل سألت الغابرينَ
أروّضوا أمس الخيول ؟
أم نحن بدء الناس كل تراثنا أنصاب طينْ

ألنار تصهل من ورائي والقذائف لا تنـامُ
عيونُها وأبي على ظهري ، وفي رحمي جنينْ
عريان دون فمٍ ولا بصرٍ تكوّر في الظلامْ
في بركة الدم وهو يفرك أنفه بيدٍ وكالجرس الصغيرِ
يرن ملء دمي صداه ـ تكاد تومض كل روحي بالسلام
حتى أكاد أراه في غبش الدماء المستنير
عريان دون فم كأفقر ما يكون بلا عظامْ
وبلا أب ، وبدون حيفا دون ذكرى ـ كالظلام !
أسريت أعبر ، تحت أجنحة الحديد به الزمانِ
من الحقول الى المراعي فالكهوف

والأرض تطمس من وراء ظهورنا ، كالأبجدّيه
ألدور فيها والدوالي شاخصات كالحروف
فكأن أمسِ غدٌ يلوح وليس بينهما مكانْ
لم يخرجونا من قرانا وحدهنّ ولا من المدن الرخيّـه
لكنهم قد أخرجونا من صعيد الآدميّـه !
فاليوم تمتـلىء الكهوف بنـا ونعوي جائعين
ونموت فيها لا نخلّف للصغار على الصخورِ
سوى هباب ما نقشنا فيه من أسدٍ طعين !
ونموت فيها لا نخلّف بعدنا حتى قبور
ماذا نحطّ على شواهدها ؟ أ « كانوا لاجئين » ؟
أليوم تمتلىء الكهوف بنا تظلل بالخيامِ
وبالصفيح ، وقد تغلفهنَّ بالآجرّ دور
والنور كالتابوت فيها ، ليس فيه سوى ظلامْ

بين الكهوف وبين حيفا من ظلامٍ ألف عام أو يزيدْ
بين الكهوف وبين أمس هناك بئر لا قرار
لها ، كهاوية الجحيم تلزّ فاها دون نار
تتعلّق الأجداث فيها كالجلامد في جدارْ
لحداً على لحدٍ ، أزيح الطين عنها والحجارْ
من يدفن الموتى وقد كشفوا وماتوا من جديدْ ؟

من يدفن الموتى
ليولد ، تحت صخرة كل شاهدة ، وليدْ ؟
من يدفن الموتى لئلا يُرخموا باب الحياةِ
على أكفّ القابلاتْ ؟
من يدفن الموتى لنعرف أننا بشر جديدْ !
في كل شهرٍ من شهور الجوع يومىء يوم عيدْ
فنخفّ نحمل من « تذاكرنا » صليب اللاجئين
ـ « يا مكتباً للغوث في سيناء هبْ للتائهين
مَنّاً وسلوى من شعيرٍ ، والمشيمةَ للجنين
واجعل له المطّاط سرّه
وارزقه ثدياً من زجاجٍ واحْش بالإدريج صدره »

وبأيما لغة نقول فيستجيب الآخرون
ونورث الدم للصغار ؟
أعلمتَ ـ حين نقول دار أو سماء ـ أيّ دارٍ
او سماء تخطران على العيون ؟
هيهات ، ليس للاجئين ولاجئات من قرار
أو ديار ،
إلا مرابع كان فيها أمس معنى أن نكون
سنظل نضرب كالمجوس نجس ميلاد النهار !

كم ليلةٍ ظلماء كالرّحم انتظرنا في دجاها
نتلمس الدم في جوانبها ونعصر من قواها
شعّ الوميض على رتاج سمائها مفتاح نار
حتى حسبنا أن باب الصبح يفرج ـ ثم غارَ
وغادر الحرسُ الحدود
واختصّ رعدٌ في مقابر صمتها يعد القفار ،
ثم اضمحلّ الى غبار بين أحذية الجنود
أالليل أجهض ناره الحمّى وديمته انتحاب الضائعين
أالليل أجهض : ليس فيه سوى مجوس اللاجئين

أالنار تركض كالخيول وراءنا أهمُ المغولُ
على ظهور الصافنات ؟ وهل سألتَ الغابرينَ
أروّضوا أمسِ الخيول ؟
أم نحن بدء الناس : كل تراثنا أنصاب طين ؟

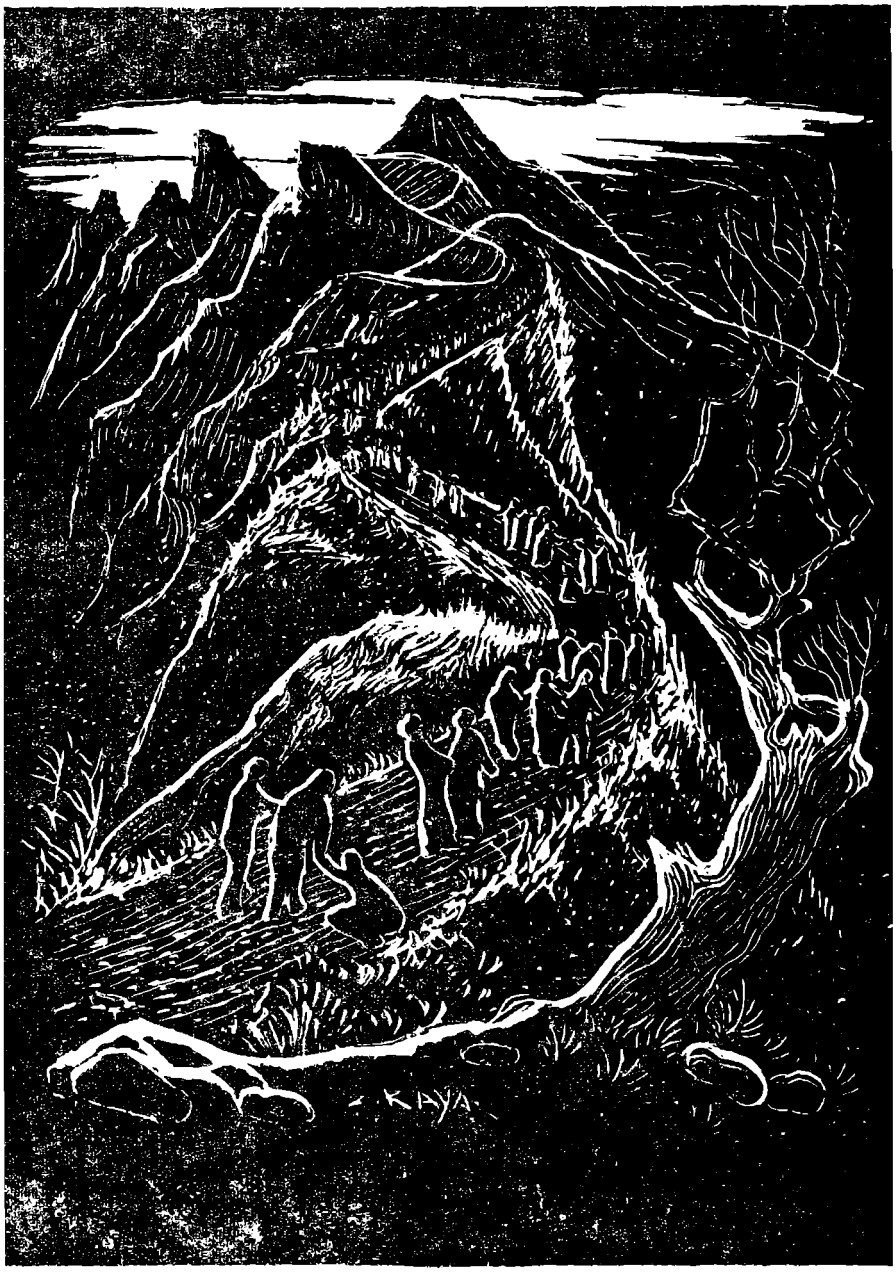
KAYA

يوم الطغاة الأخير

[أغنية ثائر عربي من تونس لرفيقته]

ـ « إلى الملتقى » ، وانطوى الموعدُ
وظلّ الغدُ
غد الثائرين القريبْ
يداً بيدٍ من غمار اللهيب
سنرقى الى القمة العاليه
وشعرك حقلٌ حباه المغيب
أزاهيره القانيه

نرى الشمس تنأى وراء التلالْ
وبين الظلال
وقد رفّ ، مثل الجناح الكسير ـ
على كومةٍ من حطام القيود
على عالمٍ بائدٍ لن يعود ـ

سناها الأخير
تقولين لي : « هل رأيت النجوم ؟
أأبصرتها قبل هذا المساء
لها مثل هذا السّنا والنّقاء ؟ »
تقولين لي « هل رأيتَ النجوم
وكم أشرقت قبل هذا المساء
على عالم لطّخته الدماء
دماء المساكين والابرياء ! »
تقولين لي :- « هل رأيت النجوم
تُطلّ على أرضنا وهي حرّه
لأول مرّه ؟ »
نعم . أمس حين التفتّ اليكِ
تراءينَ كالهجس في مقلتيكِ .

وإذ يستضيء المدى بالحريق
فيندكّ سجن ويُجلى طريقْ
ويُذكي بأطيافه الدافئه
محيّاكِ باللهفة الهانئه ؟
تقولين « نحن ابتداء الطريق ـ
ونحن الذين اعتصرنا الحياه :

من الصّخر تدمى عليه الجباه
ويمتصّ ريّ الشفاه ،
من الموت في موحشات السّجونِ ؛
من البؤس ، من خاويات البطون ؛
لأجيالها الآتيه .
لنا الكوكب الطالعُ
وصبح الغد الساطعُ
وآصاله الزاهيه ! »

إلى جميلة بوحيرد

لا تسمعيها   إنّ أصواتنا
تخزى بها الريحُ التي تنقلُ ؛
بابٌ علينا من دمٍ مُقْفَلُ
ونحن في ظلماتنا نسأل :
« من مات ؟ من يبكيه ؟ من يُقتلُ ؟
من يصلب الخبز الذي نأكلُ ؟
نخشى اذا واريت أمواتَنا
أن يُفزعَ الأحياءَ ما يُبصرونْ »
اذ يُقفر الكهف الذي يأهلون ؛
إن عربدَ الوحشُ الذي يُطعمون
من أكبُد الموتى ، فمن يبذلُ ؟

يا أُختنا المشبوحةَ الباكيه ،
أطرافُكِ الداميه
يقطرْن في قلبي ويبكين فيه .

يا من حملتِ الموت عن رافعيه
من ظلمة الطين التي تحتويه
إلى سماوات الدم الواريه ،
حيث التقى الإنسان والله ، والأموات والأحياءُ في شهقةٍ ،
في رعشةٍ للضربة القاضيه.
الأرضُ ، أمُّ الزهر والماء والأسماك والحيْـوان والسنبلِ ،
لم تبلُ في إرهاصها الأولِ
من خضّـة الميلاد ما تحملينْ
ترتجُّ قيعانُ المحيطات من أعماقها ، ينسحُّ فيها حنين ،
والصَّـخر منشدٌّ بأعصابه ــ حتى يراها ــ في انتظار الجنين.
ألأرض ؟ أم أنت التي تصرخين ؟
في صمتك المكتظِّ بالآخرين ؟
في ذلك الموت ، المخاض ، المحب ، المبغض، المنفتح، المقفلِ.
ونحن ؟ أم أنت التي تولدين ؟
أسخى من الميلاد ما تبذلين ،
والموت ، أقسى منه، من كل ما عاناه أجيالٌ من الهالكين،
أنَّ الذي من دونه الجُـلْجله
والسوطَ والسجَّـان والمقصله ،
أنَّ الذي يفديكِ أو تفتدين ،
غير الذي آذوه بالنار أو بالعار والماء الذي تشربين

عبءٌ من الآجـال ما أثقله !
كم حاول الجلاد أن يُنزله ،
كم ودّ أن تُلقيه إذ تعجزين
مشبوحةَ الأطراف فوق الصليبْ ،
مشبوحةَ العينين عبرَ الظلام ،
يأتيكِ من وهران – يا للزحام ! –
حَشْدٌ مُشعٌّ باشتعال المغيب ،
يأتيك كلُّ الناس ، كلُّ الانام ،
يرجون ، مما تبذلين ، الطعـام
والأمنَ والنعماءَ والعافيه .
وأنتِ مثلُ الدوحةِ العاريه ،
لم يُبقِ منكِ البغيُ إلا الجذور
ألموتُ واهٍ دونها ، والنشور
فيها ، وتجري دونكِ الساقيه .
ما شبَّ في وهران من بُرعُمِ
أو أزهرت في أطلسٍ عَوْسجه ،
إلا ودبّـت في مسيل الدمِ
نغمةٌ منعشةٌ مبهجه
توحي بأن الارض ظلت تدور
طاحونةً للقاتل المجرمِ

تسحق منه واهنَ الأعظُمِ ،
وأنّ ألوانَ الأذى والعذاب
ذُخرٌ لنا ، نجلوه يوم الحساب
نسقي به الباغين ، نروي التراب
من لَفْحِهِ ـ أنَّ الهوى والشباب
لم يذهبا ـ أن البعاد اقتراب ـ
أنّ من الدمع الذي تسكبين
أسلحةً في أذرع الثائرين .
جاء زمانٌ كان فيه البشر
يفدون من أبنائهم للحجر
« يا رب عطشى نحن . هات المطر !
روِّ العطاشى منه روِّ الشَجرْ »
وجاء حينٌ عاد فيه البشر
يفدون بالأنعام ما تحبس السماء في أعماقها من قدر
وجاء عصرٌ سار فيه الإله
عريانَ ، يدمى ، كي يروِّي الحياه
واليوم ولّى محفلُ الآلهه ،
اليوم يفدي ثائر بالدماءْ
الشيبَ والشبان ، يفدي النساء ،
يفدي زروع الحقل ، يفدي النماء ،

يفدي دموع الأيِّـم الواله .
بالأمس دوّى في ثرى يثربِ
صوتٌ قويٌّ من فقيرٍ نبي ،
ألوى ببغي الصَّـخْـر لم يضربِ ،
وحطّـم التيجانَ ايُّ انطلاقْ
في مصرَ ، في سوريّـةٍ ، في العراق ،
في ارضكِ الخضراء كان انعتاق !
بالأمس وارى قومك الآله
عشتار ، أمُّ الخِـصـب ، والحب ، والاحسان ، تلك الربّـة الواله
لم تُعطِ ما أعطيتِ ، لم تُرْوِ بالأمطارِ ماروّيتِ : قلبَ الفقير ،
لم يعرف الحقد الذي يعرفونْ
والحسَـد الآكلَ حتى العيون
نحن بنو الفقر الذي يزعمون
في كل عصر أنهم وارثوه
قابيل فينا ما تهاوى أخوه
من ضربة الحقد التي يضربون
يوم ابتدأنا كان عبءُ السماء
ملقىً على أطلسِ ،
يزحمه بالمنكب الأملسِ

ثم ارتقى «ايفل»[1] ، تمّ البناء
فانحطّ ذاك العبءُ حيناً عليه ؛
ثم انطلقنا نحن من جانبيه
حتى حملنا عبئَـها،كلَّ ما فيها من الأبراج والأنجُـمِ.
يا أختنا المشبوحةَ الباكيه ،
أطرافك الداميه
يقطرن في قلبي ويبكين فيه
لم يلق ما تلقين أنتِ المسيحْ –
أنتِ التي تفدين جُرْحَ الجريح
أنت التي تُعطين .. لا قبضَ ريح ،
يا أُختنا ، يا أُمَّ أطفالنا
يا سقف أعمالنا
يا ذروةً تعلو لأبطالنا
ما حزَّ سوط البغي في ساعديْك
إلا ، وفي غيبوبة الانبياءْ ،
أحسستِ أنَّ السوط ، أن الدماء ،
أنَّ الدجى ، أن الضحايا .. هباء
من اجل طفل ضاحكته السماء
فرحان في أرضِـه

---

(١) برج ايفل في باريس .

وبعضُه فرحانُ من بعضِه،
أحسستِه يحبو على راحتيْك،
سمعتِه يضحك في مسمعيْك،
يهتف « يا جميله
يا أختيَ النبيله،
يا أختيَ القتيله،
لك الغد الزاهي كما تشتهينْ »
وانت إذ أحسستِ، إذ تسمعين،
تعلو بكِ الآلام فوق التراب
فوق الذرى، فوق انعقاد السحاب،
تعلين حتى محفل الآلهه
كالربّة الوالهه،
كالنسمةِ التائهه.

لا تسمعيها إنّ أصواتنا
تخزى بها الريحُ التي تنقلُ،
بابٌ علينا، من دمٍ، مقفلُ
ونحن نُحصي، ثَمَّ، أمواتنا.
الله لولا أنت يا فاديه

ما أثمرت أغصانُنا العاريه
أو زنبقت أشعارنَا القافيه
إنّا هنا في هوةٍ داجيه
ما طاف لولا مقلتاكِ الشعاعْ
يوماً بها . نحن العراة الجياع ؛
لا تسمعي ما لفّقوا ، ما يُذاع ،
ما زيَّنوا ، ما خطَّ ذاك اليراع .
إنّا هنا كومٌ من الأعظمِ
لم يبق فينا من مسيل الدمِ
شيء نروِّي منه قلبَ الحياة .
إنّا هنا موتى ، حفاة ، عراة
لا تسمعيها ، ان أصواتنا
تخزى بها الريحُ التي تنقلُ ،
بابٌ علينا ، من دمٍ ، مقفلُ
ونحن في ظلمائنا نسأل :
« من مات ؟ من يبكيه ؟ من يُقتَلُ ؟ »
يا نفحةً من عالم الآلهه
هبَّت على أقدامنا التائهه ،
لا تمسحيها من شواظ الدماءُ ،

إنا سنمضي في طريق الفناء ؛
ولترفعي « اوراسَ » حتى السماء
حتى تروّى من مسيلِ الدماء
أعراقُ كلِّ الناس ، كلِّ الصخور ،
حتى نمسَّ اللهَ
حتى نثور !

رسالة من مقبرة

[الى المجاهدين الجزائريين]

من قاع قبري أصيحْ
حتى تئنَّ القبورْ
من رَجع صوتي ، وهو رملٌ وريح :
من عالمٍ في حفرتي يستريح ،
مركومةً في جانبيه القصورْ ،
وفيه ما في سواه
إلاّ دبيبَ الحياه ،
حتى الأغاني فيه ، حتى الزُّهور
والشمسُ ، إلاّ أنها لا تدور
والدُّود نخَّارٌ بها في ضريح
من عالمٍ في قاع قبري أصيح :
« لا تيأسوا من مولدٍ او نشور »

ألنور من طينٍ هنا أو زجاجْ ،

قُفلٌ على باب سورْ
ألنور في قبري دجىً دون نور
ألنور في شُبّاك داري زجاج ،
كم حدّقتْ بي خلفه من عيونْ
سوداءَ كالعارِ
يجرحن بالأهداب أسراري
فاليوم داري لم تعدْ داري
والنور في شبّاك داري ظنونْ
تمتصُّ أغواري .
وعند بابي يصرخ الجائعون
« في خُبزِكَ اليوميِّ دفءُ الدِّماء
فاملأ لنا ، في كل يومٍ ، وعاء
من لحمك الحيِّ الذي نشتهيه ،
فنكهةُ الشمس فيه
وفيه طعم الهواء ! »
وعنـد بابي يصرخ الأشقياءْ
« أعصرْ لنا من مقلتيكَ الضياء
فأننا مُظلمون ! »
وعند بابي يصرخ المخبرون :
« وَعرٌ هو المرقى إلى الجلجله ، [1]

(١) الجلجلة الجبل الذي حمل المسيح صليبه الى قمته .

والصَّخرُ ، يا سيزيفُ ، ما أثقله .
سيزيف .. إنّ الصخرةَ الآخرون ! »

لكنَّ أصواتاً كقرعِ الطّبولْ
تنهـــلُّ في رمسي
من عالم الشمسِ ؛
هذي خُطى الأحياء بين الحقولْ
في جانب القبر الذي نحن فيه
أصداؤهـــا الخضراء
تنهلُّ في داري
أوراقَ أزهـارِ
من عـالم الشمس التي نشتهيه
أصداؤها البيضاءْ
يَصدعنَ من حولي جليدَ الهواء
أصداؤها الحمراء
تنهلُّ في داري
شلاّلَ انوارِ ،
فالنور في شبّاك داري دماء
ينضَحنَ من حيث التقى ، بالصخورْ
في فُوهـةِ القَـبر المغطّاةِ ، سور

هذا مخاضُ الأرض لاتيأسي ؛
بُشراكِ يا اجداث ، حانَ النشورْ !
بُشراك .. في « وهران » أصداءُ صوْر .
سيزيفُ ألقى عنه عبء الدُّهور
واستقبلَ الشمسَ على « الاطلسِ » !

آهٍ لوهرانَ التي لا تثور !

في المغرب العربي

قرأتُ اسمي على صخره
هنا ، في وحشة الصحراءْ ،
على آجرّةٍ حمراء ،
على قبرٍ فكيف يحسّ إنسانٌ يرى قبره ؟
يراه وإنه ليحارُ فيه :
أحيّ هو أم ميتٌ ؟ فما يكفيه
انْ يرى ظلاً له على الرمـــالْ ،
كمئذنـةٍ مُعفّرةٍ
كمقبرةٍ
كمجدٍ زالْ !
كمئذنةٍ تردّد فوقها اسمُ الله
وخُطّ اسمٌ له فيها ،
وكان محمدٌ نقشاً على آجرّةٍ خضراءْ
يزهو في أعاليها
فأمسى تأكل الغبراء

والنيران ، من معناه ،
ويركله الغزاة بلا حذاء
بلا قدمِ
وتنزف منه ، دونَ دمٍ ،
جراحٌ دونما ألمِ –
فقد ماتْ
ومتنا فيه ، من موتى ومن أحيـاء .
فنحن جميعنا أموات .
أنا ومحمد والله ..
وهذا قبرنا أنقاض مئذنة معفّرةٍ
عليها يُكتبُ اسم محمدٍ والله ،
على كِسَرٍ مبعثرةٍ
من الآجرّ والفخّارْ
فيا قبر الإله ، على النهار
ظلٌّ لألف حربةٍ وفيلْ
ولونُ أبرَهه
وما عكسته منه يدُ الدليل ،
والكعبة المحزونة المسوَّدة .
قرأتُ اسمي على صخره ،
على قبرين بينهما مدى أجيالْ

يجعل هذه الحفره
تضمّ اثنين : جدّ ابي ــ ومحضُ رمالْ
ومحضُ نثارة سوداء منه ، استنزلا قبره ــ
وإياي ، ابنَـه في موته والمضغةِ الصلصال

وكان يطوف من حدّي
مع المدّ
هتافٌ يملأ الشطآنَ : يا وديانا ثوري !
ويا هذا الدمُ الباقي على الأجيالْ
يا إرثَ الجماهيرِ ،
تشظَّ الآن واسحقْ هذه الأغلالْ
وكالزلزال
هُزَّ النير ، او فاسحقه واسحقنا مع النير
وكان إلهنا يختالْ
بين عصائب الأبطال ،
من زندٍ الى زندِ
ومن بنْـدٍ الى بندِ

إلهُ الكعبة الجبّـارْ ،
تدرّعَ أمسِ في ذي قارْ

بدرعٍ من دم النعمان في حافاتها آثارْ
إله محمد وإله آبائي من العربِ ،
تراءى في جبال الريف يحمل راية الثوّار ،
وفي يافا رآه القوم يبكي في بقايا دار .
وأبصرناه يهبط أرضنا يوماً من السحبِ
جريحاً كان في احيائنا يمشي ويستجدي ،
فلم نضمدْ له جرحا
ولا ضحّى
له منا بغير الخبز والانعام من عبْدِ !

وأصوات المصلّين ارتعاشٌ من مراثيهِ
اذا سجدوا ينزُّ دمُ
فيسرع بالضماد فمُ
بآياتٍ يغضّ الجرح منها خير ما فيهِ ،
تداوي خوفنا من علمنا أنا سنحييه
اذا ما هلل الثوار منا « نحن نفديه ! »

أغار ، من الظلام على قرانا
فأحرقهنَّ ، سربٌ من جرادِ
كان مياه دجلة ، حيث ولّى ،

تنمّ عليه بالدم والمدادِ
أليس هو الذي فجأ الحُبالى
قضاه ، فما ولدْنَ سوى رمـادِ ؟
وأنعل ، بالأهلّـة في بقايا
مآذنها ، سنابك من جوادِ ؟
وجاء الشام يسحب في ثراها
خُطى أسدين جاعا في الفؤادِ ؟
فأطعم أجوع الاسدين عيسى
وبلّ صداه من ماء العمادِ
وعضّ نبيّ مكة .. فالصحارى
وكل الشرق ينفرُ للجهادِ ؟

أعاد ، اليوم ، كي يقتصّ من أنّـا دحرناهُ ؟
وان الله باقٍ في قرانا ، ما قتلناه ؟
ولا من جوعنا يومـاً أكلنـاه ؟
ولا بالمـــال بعناهُ ـ
كما باعوا
إلهمُ الذي صنعوه من ذهبٍ كدحناه ؟
كما أكلوه إذ جاعوا ـ
إلهمُ الذي من خبزنا الدامي جبلناهُ ؟

وفي باريس تتّخذ البغايا
وسائدهنّ من ألم المسيحِ
وبات العقمُ يزرع في حشاها
فم التنّين : يشهق بالفحيحِ
ويقذف من حديدٍ في حمانا
جحافل كالفوارس ، دون روحِ
تجدّ وراء مكة في الصياصي
اقناها ، ويثرب في السفوحِ

قرأتُ اسمي على صخره
وبين اسمين في الصحراءْ
تنفّس عالمُ الاحياء
كما يجري دمُ الأعراق بين النبض والنبضِ
ومن آجرّةٍ حمراءَ ماثلةٍ على حُفره ،
أضاء ملامح الارضِ
بلا ومض
دمٌ فيها ، فسمّاها
لتأخذ منه معناها
لأعرف أنها أرضي
لأعرف أنها بعضي

لأعرف انها ماضي ، لا أحياه لولاها
وأني ميـت لولاه ، أمشي بين موتاها
أذاك الصاخب المكتظّ بالرايات واديا ؟
أهذا لوْن ماضينا
تضوّأ من كوى « الحمراءْ »
ومن آجرّةٍ خضراء
عليها تكتب اسم الله بقيا من دمٍ فينـا ؟
أنبرٌ من أذان الفجر ؟ أم تكبيرة الثوار
تعلو من صياصينا ..؟
تمخّـضت القبور لتنشر الموتى ملايينا
وهبّ محمدٌ وإلهه العربيّ والأنصار
إن إلهنا فينا

مرثية جيكور

يا صليب المسيـــح ألقاك ظلاً
فوق « جيكور »[1] طائر من حديد
يا لظلٍّ كظلمة القبر في اللون ، وكالقبر في ابتلاع الخدود
والتهامِ العيون من كل عذراءَ كعذراءِ «بيت لحم» الولود.
مرّ عجلان بالقبور العواري من صليبٍ على النصارى شهيد
فاكتست منه بالصليب الذي ما كان إلا رمز الهلاك الأبيد :
لا رجاءٌ لها بأن يُبعث الموتى ولا مأمل لها بالخلود !
ويلَ جيكور ؟ أين ايامها الخضرُ وليلاتُ صيفها المفقود؟
والعشاءُ السخيّ في ليلة العرسِ وتقبيلة العروس الودود
وانتظارٌ له على الباب ؟ :
– « محمود ، تأخرت يا أبا محمودِ
نـــادِ محمود ! ».
ثم يوفي على الجمـــعِ بمنديل عرسه المعقود

---

(١) جيكور قرية الشاعر في جنوب البصرة

نقطتُه الدماء يشهدن للخدر بعذراء ، يا لها من شهود[٢]
لا على العقم والرّدى، بل على الميلاد والبعث والشباب الجديد!
أيّ صوت يصيح: «محمود، محمود تأخرتَ!» كالنواح البعيد؟
أين محمود؟ ليس محمود في الدار ولا الحقل!
يا أبا محمودِ
نادِ محمود كاد ان يهف الديكُ وما زال جمعنا في الوصيد
قل له يُبرز الدماءَ فانّا في انتظار لها وشوق مبيد!
ذرّ نجمُ الصباح محمود، محمود، أأقبلت بالدم المنشود؟
أي جرح ينزُّ منه الدم الموّار في باب دارك المرصود؟
إنه منك! منك هذا الدم الثرّ ومن جانب العروس القديد!
أَلصليب، الصليبُ! إنّا رأيناه وقد مرّ كالخيال الشّرود،
قد رأيناه في الصباح وفي الليل سمعنا كقعقعات الرعود.
أهو هذا الذي يريدون؟ أشلاءً وأنقاض منزل مهدود؟
أفما قامت الحضارات في الأرض كعنقاءَ من رماد اللحود؟
لا ولم تُفرخ العقولُ على المجهول يسبرن فيه غورَ الوجود!
أو يشقُّ العُبابَ قلعٌ يصكُّ الريح صكاً الى البعيد البعيد؟
أو يلمّ النسيم عقداً من النور ويذروه باقة من ورود
ساحرٌ فجّر المدى عن مدى ملآن باللحن مُترعٍ بالنشيد؟
أوتدقّ الأجراس: «يا أرضُ، يا بشراك بالحبّ والمسيح الوليد»؟

(٢) من التقاليد المتبعة في الريف العراقي أن يبرز العريس في ليلة العرس منديلاً ملطخاً بالدماء يشهد على أن العروس عذراء!

لا ولم يُختم الزجاج على كل «هِرَقلٍ»[1] من العقار الأكيد
يخنق الموت كلما همّ بالناس ويجتاح كاسرات الأسود ؟
لا ولا قيس بعد ما لفّه الليل من الارض واحتوى من حدود
بالذي قاس حافةَ الساعةِ القوراء في قرصها ذراعا حديد ؟
أو يفضّ الظلام ؟ــ الا لكي تندكّ «جيكور» بالسلاح الجديد ؟
كي يراها على اتساع المدى والشاوِ من ليس طرفه بالحديد ؟
من وراء المحيط والليل والغابات والبيد والذرى والسدود !
أين من شال «جين» أطمار «كلثوم» ؟ وأن الغضا من الاركيد ؟
فيم أسرى صحاب «جين» المغاوير الى زوج «كلثم» المنكود ؟
يا رماداً تذرّه الزعزع الشعثاء في مقـــلة القمير الوحيد ،
أنت «جيكور» كل جيكور : أحداق العذارى وباسلات الزنود
والرؤوس التي حثا فوقهنّ الدهر ما في رحاه من تنكيد
صرّد القمح من نثار لها اللون ، ولم تحظَ بالرغيف الوئيد
فهي صحراء تزفر الملح آهات وشكوى ، لمائها الموؤود !

خورس[2]

شيخ اسم الله ترللا
قد شابَ ترلّ ترلّ ترارِ وما هلاّ

---

(١) هرقل الجبار ، خنق الموت وذلل الأسود الكاسرة

(٢) يغني الخورس اغنيتين عراقيتين شعبيتين (شيخ اسم الله) نبات كالحلفاء تؤكل أزهاره وهي في براعمها ، وتتفتح عن سنابـــل تشبه الرؤوس التي شابت

ترلل العيدُ ترللا
ترللا عرّس « حمادي » ،
زغردن ترلّ ترلّلاّ
الثوب من الريز ترلّلا
والنقشُ صناعةُ بغدادَ

إنها الريح! فاملئي الريح ياجيكور بالضحك او نثار الورود!
قطّب الصمتُ حيث كانت أغانيك، وحيث العبيرُ نتن الصديد.
جاء قرنٌ وراح والمدْن في ضوضاء، مارلن من حساب النقود،
ضاع صوتُ الضعاف فيها وآهات النبيّين وابتهال الطريد
واستحال الفضاء ــ من ضجّة الآلات فيها ومن لهاث العبيد ــ
غير هذا الفضاء شيئاً لغير الآدميين ــ ربما للقرود
ربما للذئاب والدود والأدنى من الدود في الحضيض البليد !
ظلّ ذاك الضجيج كالجيفة الحبلى بما ليس غير عقم الولود ،
ثمة التمّ في كرات من النار فألقى عليك صمت اللحود !
لا عليك السلام ياعصر «تعبان بن عيسى» وهنت بين العهود !
ها هو الآن فحمة تنخر الديدانُ فيها فتلتظي من جديد
ذلك الكائن الخرافيّ في جيكور ، «هومير»[1] شعبه المكدود
جالس القرفصاء في شمس آذار وعيناه في بلاط «الرشيد» ،

(١) هومير الشاعر الإغريقي الأعمى .

يمضغ التبغ والتواريخ والأحلام ، بالشدق والخيال الوئيد
ما تزالُ «البسوسُ» محمومة الخيل لديه، وما خبا من «يزيد»
نار عينين ألقتاها على « الشمر »[1] ظلالاً مذبّحات الوريد !
كلما لزّ شمرُه الخيل او عرّى ابو زيده[2] التحام الجنود
شدّ راحاً وأطلق المغزل الدوّار يدحوه للمدار الجديد !
وانتهى من حديثه الضخم عن ضخم من الغزل، وانتهى من قعود
نصف عريان يسحب الطرف عن صدر تعرّى وعن قميص فقيد
غير بقيا على فمٍ دقّ حتى عن فم العنكبوت، في رأس عود:
مغزلٌ ينقض الذي حاكه النولُ، وجهد أضاع شتى جهود
فهو كدّ وليس بالكدّ ، أردى قبله اثنين وادّعى بالمزيد –
حاضر غير حاضر ، منه للماضي فنـــاء وللغد الموعود !
لا عليك السلام يا عصر تعبان بن عيسى وهنت بين العهود
أنت أيتمت كل روح من الماضي ، وسوّدت آلة من حديد
تسكب السم واللظى لا حليبَ الأم أو رحمةَ الأب المفقود:
سُلّمٌ في الحضيض أعلاه – مرقاه انخفاضٌ وإن بدا كالصعود
حدّقتْ منه في الورى مقلتا «فوكايَ» تستشرفان أيام «هود»
والمسيحَ المبيعَ بخساً بما لو بيع لحماً لناء عن تسديد !
حدّقي حيث شئتِ، يا عين فوكاي المدمّاة، من مداك المديد!

---

(١) الشمر قاتل الحسين ، وتصوره القصص مرتدياً ثياباً حمر اللون
(٢) ابو زيد الهلالي .

فهي سوق تُباع فيها لحومُ الآدميين دون سلخ الجلود
كلُ أفريقيا وآسية السمراء ، ما بين زنجها والهنود
واشترى لحم كلّ من نطق الضاد تجار تبيعه لليهود !
هكذا قد أسفّ من نفسه الانسان وانهار كانهيار العمود
فهو يسعى وحلمه الخبز والأسمال والنعل واعتصار النهود!
والذي حارت البرية فيه[1] بالتآويل ، كائنٌ ذو نقود !

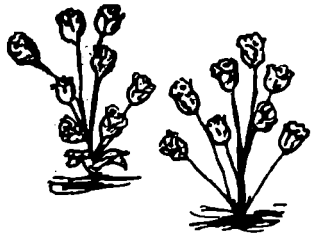

(١) قال المعري : والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد.

تموز جيكور

١

نابُ الخنزير يشقّ يدي
ويغوص لظاه الى كبدي ،
ودمي يتدفّق ، ينسابُ
لم يغدُ شقائقَ أو قمحا
لكنْ ملحا
ـ « عشتار » .. وتخفق أثوابُ
وترفّ حياليَ أعشابُ

من نعلٍ يخفق كالبرق
كالبرق الخُلّب ينساب .
لو يومض في عِرْقي
نورٌ ، فيضيء ليَ الدنيا !
لو أنهض ! لو أحيا !
لو أسقى ! آهِ لو أسقي !
لو أنّ عروقي أعنابُ !
وتقبّل ثغري عشتارُ ،

فكأنّ على فمها ظُلْمه
تنثال عليّ وتنطبقُ ،
فيموت بعينيّ الألق
أنا والعُتْمه

٢

جيكورُ . ستولدُ جيكورُ
ألنّور سيُورق والنُّورُ
جيكور ستولد من جُرْحي ،
من غصّة موتي ، من ناري ؛
سيفيض البَيْدر بالقمحِ ،
والجرْن سيضحك للصبحِ ،
والقريةُ داراً عن دارِ
تتماوج أنغاماً حلْوه ،
والشيخ ينامُ على الربوه ،
والنخل يوسوس أسراري .
جيكور ستولد لكنّي
لن أخرجَ فيها من سجني
في ليل الطين الممدودِ .
لن ينبض قلبي كاللحنِ
في الأوتارِ ،

لن يخفقَ فيه سوى الدودِ .

٣

هيهات أتولد جيكورُ
إلا من خضّة ميلادي ؟
هيهات أينبثقُ النورُ
ودمائي تُظلم في الوادي ؟
أيُسَقْسقُ فيها عصفورُ
ولساني كومةُ أعوادِ ؟
والحقل ؟ متى يلد القمحا
والوردَ ، وجُرْحي مفغورُ
وعظامي ناضحةٌ مِلْحا ؟
لا شيء سوى العدم العدمِ ،
والموتُ هو الموتُ الباقي .
يا ليلُ أظلَّ مسيلَ دمي
ولْتغدُ تُراباً أعراقي !
هيهات . أتولد جيكور
من حقد الخنزير المتدثّر بالليلِ
والقُبّلة بُرعمةُ القَتْلِ
والغيمةُ رملٌ منثورُ
يا جيكور ؟

جيكور والمدينة

.. وتلتفُّ حولي دروبُ المدينـــه
حبالاً من الطين يمضغْـن قلبي
ويُعطين، عن جمرةٍ فيه، طينه،
حبالاً من النار يجلدْنَ عُرْيَ الحقول الحزينه
ويُحْـرِقن جَيْـكورَ في قاع روحي
ويزرعن فيها رمـاد الضغينه
دروبٌ تقولُ الأساطير عنها
على مُوْقدٍ نام ما عاد منها
ولا عاد من ضِفَّـة الموت سارٍ،
كأنَّ الصدى والسكينه
جناحا أبي الهول فيها، جناحان من صخرةٍ في ثراها دفينه.
فمن يَفْـجر الماءَ منها عيوناً لتُبنى قرانا عليها ؟
ومن يُرجع الله يوماً إليها ؟

وفي الليـلَ، فردَوْسهـا المستعادِ،

اذا عرَّش الصخر فيها غصونه
ورصَّ المصابيح تُفاح نارٍ
ومدَّ الحوانيتَ أوراقَ تينه ،
فمن يُشعل الحبَّ في كل درب وفي كلِّ مقهى وفي كل دار ؟
ومن يُرجع المِخلَبَ الآدميَّ يداً يمسح الطفلُ فيها جبينه؟
وتخضلُّ من لمسها ، من ألوهيّة القلب فيها ، عروقُ الحجار؟
وبين الضُّحى وانتصافِ النهار
اذا سبحت باسم ربِّ المدينه
ـ بصوت العصافير في سدرة يخلق الله منها قلوبَ الصغار ـ
رحى معدنٍ في أكُفِّ التجـــار
لها ما لأسماك جيكور من لمعةٍ واسمها من معانٍ كثار ،
فمن يسمع الروحَ ؟ من يبسط الظلَّ في لافحٍ من هجير النُّضار؟
ومن يهتدي في بحار الجليد إليها فلا يستبيح السفينه ؟
وجيكور ، من غلَّق الدُّور فيها ـ وجاء أبنها يطرق
البابَ ـ دونه ؟
رمن حوَّل الدرب عنها . . فمن حيث دارَ اشرأبّت اليه المدينه؟
وجَيْكور خضراءُ مسَّ الأصيلُ ذرى النخل فيها
بشمسٍ حزينه .
يمدُّ الكرى لي طريقاً إليها
من القلب يمتدُّ ، عبرَ الدهاليز ، عبر الدجى والقلاع الحصينه . .

وقد نام في بابلَ الراقصون
ونام الحديدُ الذي يشحذونه ،
وغشَّى،على أعين الخازنين ، لهاثُ النُّضار الذي يحرسونه:
حصادَ المجاعات في جنتيها
رحىً من لظى مر دربي عليها ،
وكرم عساليجُه العاقراتُ شُرايينُ تموزَ عبر المدينه،
شرايين في كل دارٍ وسجنٍ ومقهى
وسجنٍ وبارٍ وفي كل ملهى
وفي كل مستشفيات المجانين
في كل مبغىً لعشتار
يُطلعنَ أزهارَهنَّ الهجينه
مصابيحَ لم يُسرج الزيتُ فيها وتمسسْه نار .
وفي كل مقهى وسجن ومبغى ودار
« دمي ذلك الماء ، هل تشربونه ؟
ولحمي هو الخبز ، لو تأكلونه ! »
وتموز تبكيه لاةُ الحزينه

ترفع بالنواح صوتها مع السَّحَر
ترفع بالنواح صوتها ، كما تنهَّد الشجر
تقول « يا قطار ، يا قدَرْ

قتلتَ ـ اذ قتلته ـ الربيعَ والمطرْ »
وتنشر (الزمانُ) و (الحوادثُ) الخبرْ [1]
ولاة تستغيثُ بالمضمِّد ، الحفر
أن يُرجِع ابنها يديه ، مقلتيه ، أيَّما أثرْ !
وترسل النواحَ « يا سنابل القمَرْ
دم ابنيَ الزجاجُ في عروقه انفجر
فكهرباءُ دارنا أصابت الحجَر
وصكّه الجدارُ ، خضّه ، رماه لمحةَ البصر .
أراد ان يُنير ، أن يبدِّد الظلامَ .. فاندحرْ »
وتُرسل النواح
ثم يصمت الوَترْ

وجيكور خضراء
مسّ الاصيل
ذرى النخل فيها
بشمسٍ حزينـــه
ودربي إليها كومض البروق ،
بدا واختفى ثم عاد الضياء فاذكاه حتى أنارَ المدينـه
وعرَّى يدي من وراء الضِّماد كأن الجراحات فيها حروق.

---

(١) واضح ان « الزمان » و « الحوادث » جريدتان .

وجيكور من دونها قام سورٌ
وبوابةٌ
واحتوتها سكينه
فمن يخرق السورَ ؟ من يفتح البابَ ؟ يُدمي على كل قفل يمينه؟
ويُناي : لا مخلبٌ للصراع فأسعى بها في دروب المدينـه
ولا قبضةٌ لابتعاث الحياة من الطين
لكنها محْضُ طينه

وجيكور من دونها قام سورٌ
وبوابةٌ
واحتوتها سكينه

العودة لجيكور

على جواد الحُلُم الاشهبِ
أسريتُ عَبْرَ التلالْ
أهرب منها ، من ذُراها الطوال ،
من سوقها المكتظّ بالبائعين ،
من صبحها المتعَبِ
من ليلها النَابح والعابرين ،
من نورها الغَيْهب ،
من ربها المغسول بالخمر ،
من عارها المخبوء بالزهر ،
من موتها الساري على النهر[1]
يمشي على أمواجه الغافيه
أواه لو يستيقظ الماء فيه ،
لو كانت العذراء من وارديه ،
لو أن شمس المغرب الداميه
تبتلُّ في شطَّيْه او تُشرقُ ،.

(١) كان المسيح ، في عهده ، هو الذي مشى على الماء .

لو أن أغصان الدُّجى تورقُ
أو يُوصدُ الماخور عن داخليه

٢

على جواد الحُلُم الأشهبِ
وتحت شمس المشرق الأخضر
في صيف جيكور السخيِّ الثري
أسريتُ أطوي دربيَ النائي
بين الندى والزهر والماءِ
أبحث في الآفاق عن كوكب[١]
عن مَوْلد للروح تحت السماءْ
عن منبع يُروي لهيب الظماء
عن منزلٍ للسائح المُتْعبِ

٣

جيكور ، جيكور أين الخبزُ والماءُ ؟
أَلليل وافى وقد نام الادلاَّءُ ؟
والركبُ سهرانُ من جوعٍ ومن عطشٍ
والريح صَرٌّ ، وكل الأفق أصداءُ

---

(١) ... وبزغ كوكب عرف منه المجوس ان المخلّص قد ولد .

بيداءُ ما في مداها ما يبين به
دربٌ لنا ، وسماء الليل عمياءُ
جيكور مدِّي لنا باباً فندخلَه
أو سامرينا بنجم فيه أضواء !

٤

من الذي يسمع أشعاري ؟
فان صمت الموت في داري
والليلَ في ناري .
من الذي يحمل عِبْء الصليبْ
في ذلك الليل الطويل الرهيب ؟
من الذي يبكي ومن يستجيب
للجائع العاري ؟
من يُنزل المصلوبَ عن لَوحِهِ ؟
من يطرد العقبان عن جُرحه ؟
من يرفع الظلماء عن صبحه ؟
ويُبدل الاشواكَ بالغارِ [1] ؟
أواه يا جيكور لو تسمعينْ !
أواه يا جيكور .. لو توجَدين !

(١) وألبسوا المسيحَ تاجاً من الشوك .. سخريةً به .

لو تنجبين الروح ، لو تُجهضين
كي يُبصر الساري
نجماً يُضيء الليلَ للتائهين .

٥

نَـزْعٌ ولا مَوْتُ ،
نُـطْـقٌ ولا صوتُ ،
طَـلْـقٌ ولا ميلاد
من يصلب الشاعرَ في بغداد ؟
من يشتري كفَّيه او مُقـلتيه ؟
من يجعل الاكليلَ شَوْكاً عليه ؟
جيكور يا جيكور
شدَّت خيوطُ النور
أرجوحةَ الصُّبْحِ
فاولمي للطيور
والنملِ من جُرحي

هذا طعامي أيُّها الجائعون
هذي دموعي ايها البائسون
هذا دعائي ايها العابدون

أن يقذف البركانُ نيرانَـهُ ،
أن يُرسل الفراتُ طوفانَـهُ ،
كي تُشرق الظُـلْـمَـه ،
كي نعرف الرحمه ؛
جيكور يا جيكور
شدّت خيوط النور
أرجوحة الصبحِ
فأولمي للطيور
والنملِ من جُرحي !

٦

هذا حرائيَ[١] حاكت العنكبوتْ
خيطاً الى بابه
يهدي إليَّ الناس . إني أموت
والنور في غابه
يُلقي دنانير الزمان البخيلْ
من شرفةٍ في سعفات النخيل
جيكور ، يا جيكور : خلٌّ وماءْ

---

(١) حراء ، الغار الذي هبط فيه الوحي على النبي محمد . حين هاجر النبي الى المدينة اختبأ – والمشركون جادون في اثره – في غار حاك العنكبوت بيتها على بابه فبدا مهجوراً ولم يهتد المشركون الى مخبأ محمد

ينساب من قلبي ،
من جُرْحي الواري ،
من كل أغواري
أواه يا شعبي
جيكَور ، يا جيكور هل تسمعينْ ؟
فلْتفتحي الأبواب للفاتحين
ولْتجمعي أطفالك اللاعبين
في ساحة القرية هذا العشاءْ
هذا حصاد السنين
أَلماءُ خَمْرٌ ، والخوابي غذاء[1]
هذا ربيع الوباء .

٧

أقوى من الأسوار هذا الجَوادْ
« أقوى جوادُ الحُلُمِ الأشهبُ »
لانَ الحديدُ المغتذي بالحداد
وانخذل الموكبُ
جيكور ، ماضيكِ عاد

---

(١) .. وأحال المسيح الماء الى خمر فشرب الحاضرون .

هذا صياحُ الديك ذاب الرقاد
وعدتُ من معراجي الأكبر
ألشمس أمُّ السنبل الاخضرِ
خلف المباني ، رغيفْ
لكنها في الرصيف
أغلى من الجوهر
والحُبُّ « هل تسمعين
هذا الهتافَ العنيف ؟
ماذا علينا ؟ إن عبد اللطيف[1]
يدري بأنّا ما الذي تحذرين ؟ »
وانخطفتْ روحي ، وصاح القطارْ
ورقرقت في مقلتيَّ الدموعْ
سحابةً تحملني ، ثم سار
يا شمس أيامي ، أما من رجوع ؟

جيكور ، نامي في ظلام السنين.

---

(١) اقرأ مذكراتي «كنت شيوعياً» المنشورة في جريدة الحرية العراقية.

رُؤيا في عامِ ١٩٥٦

حطَّت الرؤيا على عينيَّ صقراً من لهيب
انها تنقضّ ، تجتثُّ السواد
تقطع الاعصاب تمتص القذى من كل
جفنٍ ، فالمغيبْ
عاد منها توأماً للصبح ـ أنهار المدادْ
ليس تطفي غلَّة الرؤيا : صحارى من نحيب
من جحورٍ تلفظ الاشلاء ، هل جاء المعادْ ؟
أهْو بعثٌ ، أهْو موتٌ ، أهْي نار أم رماد ؟
أيها الصّقر الالهيّ الغريبْ
أيها المنقضُّ من أولمبَ في صمتِ المساءْ
رافعاً روحي لأطباق السماء
رافعاً روحي ـ غنيميداً[1] جريحا ،
صالباً عينيّ ـ تموزاً ، مسيحا ،

---

(١) غنيميد راعٍ يوناني شاب وقع زيوس كبير آلهة الاولمب الاغريقي في حبه ، فأرسل صقراً اختطفه وطار به اليه

أيها الصقر الالهيّ ترفَّقْ
إن روحي تتمزق ،
إنها عادت هشيماً يوم أن أمسيت ريحا

في غيمـة الرؤيا
يوم بلا ميعـاد
جنكيز هل يحيا
جنكيز في بغداد ؟
عينٌ بلا أجفانْ
تمتدّ من روحي
شدقٌ بلا أسنانْ
ينداح في الريح
يعوي أنا الانسانْ

٢

يا جواداً راكضاً يعدو على جسمي الطريح
يا جواداً ساحقاً عينيّ بالصخر السنابك
رابطاً بالأربع الأرجل قلبي
فاذا بالنبض نقرٌ للدرابك
واذا بالنار دربي

سحّت الرؤيا ضياء من لظاها
صابغاً ما تبصر العين القريح
مازجاً بالشيء ظلّه
خالطاً فيها يهوذا بالمسيح ،
مُدخلاً في اليوم ليله
بانياً في عروة المهد الضّريح
ألدمـــاء
ألدمـــاء
ألدمـــاء
وحّدت بالمجرمين الابرياء ،
نصبت في شدْقيي الذئبة كرّسي القضاء ،
ماذا جنى شعبي ؟
حلّت به اللعنه
من زاده المحنه ،
رحماك يا ربي
من مائه الديدان
من لبسه الأكفان
من طيره الغربان
ينقرنَ في قلبي
واليوم في بيدري

لم يبقَ من حبي
شيءٌ ـ هنا حبتان
فامطري أمطري
وإن يكن نيرانْ
وأثمري أثمري
وإن يكن ثعبان

٣

ما الذي يبدو على الأشجار حولي من ظلال ؟
منجلٌ يجتثّ أعراق الدوالي
قاطعاً أعراق تموز الدفينه
وعلى القنّب أشلاء حزينه
رأس طفلٍ سابح في دمه
نهد أمٍّ تنقر الديدان فيه ، في سكينه ،
أي آهٍ من دمٍ في فمه ؟
ما الذي ينطف من حلمته ، من لحمه ؟
يا حبال القنبِ التفّي كحيات السعيرِ
واخنقي روحي وخلّي الطفل والام الجزينه ؟
يا حبالاً تسحب الموتى الى قبرٍ كبيرِ
ـ جفنةٍ قد هيّأوها للوليمه ـ

يا حبالاً تسحب الاحياء ـ من شيخٍ كبيرٍ ،
من فتاةٍ أو عجوزٍ ، من ضلوعٍ حطموها
علّقت فيها تميمه ،
من صدورٍ مزّقوها ،
زرعوا فيها بذوراً من رصاصٍ ، من حديد
مـــا الذي تثمر هاتيك البذور
غير أحجار القبور ؟
غير تفاح الصديدْ ؟

٤

تموز هذا ، أتيس[١]
هذا ، وهذا الربيـع
يا خبزنا يا أتيس ،
أنبتْ لنا الحب وأحيِ اليبيس
إلتأم الحفل وجاء الجميـع
يقدّمون النذورْ ،
يحيون كل الطقوس

---

(١) أتيس يقابل تموز الإله البابلي عند سكان آسيا الصغرى القدمـــاء يحتفل بعيده في الربيـع ، حيث يربط تمثاله على ساق شجرة . وحين تبلغ الحمية أوجها عند اتباعه وعابديه ، يجرحون أنفسهم بالسيوف والمدى حتى تسيـل دماؤهم قرباناً دلالة الخصب .

ويبذرون البذور
سيقان كل الشجرْ
ضارعة ، والنفوس
عطشى تريد المطر
شدّوا على كل ساق
يا ربّ ، تمثالكْ
فَلْتسقِ كل العراقْ
فلتسق فلاحيك ، عمالك
شدّوا على كل ساق
أواه ، ما شدّوا ؟
أوّاه ، ما سمّروا ؟
أغصان زيتوننا أثقلها الوردُ
ورد الدم ، الأحمر
شدوا على كل ساقْ
يا رب تمثالك
فاسمعْ صلاة الرفاق
ولترع فلاحيك ، عمالك
تمثالك البعلُ
تمثالك الطفـل
تمثالك العذراءْ

تمثالك الجانون والأبرياء
تمثالك الأمّ الشماليه ،
لأنها ليست شيوعيه
يُقطع نهداها
تُسمل عيناها ،
تُصلب صلباً فوق زيتونه ،
تهزها الريح الجنوبيه
تمثالك الآلاف ، مجنونه
من رعبها ، تمثالك الأحمرْ
كأنه الشقيق[1] اذ يُزهر

٥

عشتار[2] على ساق الشَّجره
صلبوها ، دقّوا مسمارا
في بيت الميلاد ـ الرَّحِمِ
عشتار بحفصةَ[3] مستتره
تدعى لتسوق الامطارا
تدعى لتُساقَ الى العدمِ

---

(١) في الاساطير البابلية ان دم تموز القتيل اصبح شقائق .
(٢) إلهة الخصب والحب عند البابليين وهي حبيبة تموز .
(٣) حفصة احدى شهيدات مذبحة الموصل .

عشتار العذراء الشقراء مسيل دمِ .
صلّوا هـــذا طقسُ المطرِ
صلّوا هـــذا عصر الحجر
صلوا ، بل أصلوها نارا
تموز تجسَّد مسمارا
من حفصةَ يخرج والشجره .
ألنهد الأعذَرُ فاض ليطعم كل فمِ
خبزَ الألمِ
« الأُقَّةُ » ، صاح القصّابُ ،
« من هذا اللحم بفلسينِ » ،
إقطعْ من لحم النهدينِ
أللحمُ لنا ، والاثوابُ ـ
ستكون لمسح السكّينه
من آثار دم الاطفالِ
من آثار دم المسكينه
فلتحي زنود العمال
في قلبي دمدم زلزالُ
فجنائن بابل تندثرُ ،
في قلبي يصرخ أطفالُ ،
في قلبي يختنق القمرُ
ألظلمة تعبس في قلبي

والجو رصاص
والريح تهبُّ على شعبي
والريح رصاص
أواه لقد هجم التتر
فالصبح رصاص
والليل رصاص

٦

ألرؤيا تلمح كالقلعِ
في بحر يُزبد غضبانا ،
طوراً للاغوار وأحيانا
يعلو فنراه ، وفي سمعي
أصداء تصمت أو تعلو ،
وبياني يغمض او يجلو

أيّ حشد من وجوهٍ كالحات ،
من أكفٍّ كالتراب
نبتها الآجرّ والفولاذ كالأرض اليباب ؟
أيّ حشدٍ من ذئاب ؟
يطعمون الجو ريح المعملِ ؟

أي نعشٍ ، اي شكوى ، اي دمعٍ من نساء ثاكلات ؟
أي جمعٍ من عذارى نادبات
أي موتٍ مثكل
يا لعشتاراتِنا يبكينَ تموز القتيل .

ألعازر قام من النعش -
شخنوب[1] العازر قد بعثا
حيّاً يتقافز أو يمشي
كم ظلَّ هناكَ وكم مكثا
أترى عاماً ام عامين ؟
أم دامت ميتته ساعه ؟
شخنوب العامل ، من راعه ؟
فتنكر للدينارين
وتواثب يركض مذعورا ؟
ألموت الزائف خاتمةٌ
لحياة زائفة مثله ،
والبعث الزائف عاقبةٌ
للموت الزائف من قبله

(١) العازر الميت الذي احياه المسيح من قبل ، وشخنوب هو عامل السمنت الذي استأجره الفوضويون ، فتظاهر بالموت وحملوه في النعش تشهيراً بالجيش « الذي يقتل العمال » كما قالوا ، ثم قام ماشياً حين سقط النعش .

٧

ولفني الظلام في المساءْ
فامتصت الدماء
صحراءُ نومي تُنبت الزهَـر ؛
فانما الدماء
توائم المطر

قارئ الدم

أنا ايها الطاغوت مقتحم الرّتاج على الغيوب
أبصرت يومك وهو يأزف
هذه سحب الغروب
يتوهّج الدم في حفافيها وتنثر في الدروب
شفقَ البنفسج والورود ولون اردية الضحايا
فتشعّ اعمدةٌ عوابس ، والرصيف من الصبايا
والنسوةِ المتهامسات كحقل قمح ، والسطوح
كأن بابل اودعتها من جنائنها بقايا
لو أن غرساً كان من بشر ، واسمع من يصيح
« هوذا يساق الى الحساب » كأن أعراق المغيب
قطعت فصاح ، كأن صوتاً على لظى حملته ريح
من كل أودية الجحيم ـ هواه ... ـ !

إني شهدت سواك ينسفه اختناقٌ للصدورِ
بغيظها ، وسمعت قفقفة الضحايا في القبورِ

ودم الحوامل وهو تشربه الأجنّـة في دجاها
فسمعت وقع خطاك خائرة تجر الى السعير
حطام جسمك ، والسعير مُدى تراها
تحتزّ من قصبات صدرك ثأر كل دم العصور ؛
إني أكلت مع الضحايا في صحاف من دماء ،
وشربت ما ترك القم المسلول منه على الوعاء ،
وشممتُ ما سلخ الجُـذام من الجلود على ردائي ،
ونشقت ماء جوارب السجناء في نفَـس الهواء
فشممت فيه دخان دارك واحتراق بنيك فيها
وشواء لحم بنيك ، لولا ان شيمة محرقيها
ألا يذوق الأبرياء جزاء غير الابرياء .
إني شببت مع الجياع ، مع الملايين الفقيره
فعرفت اسراراً كثيره
كل اختلاجات القلوب وكل ألوان الدعاء
إغضاءة المقل الضريرة
يتطلع الدم في ظلام جفونهنَّ الى الضياء ،
والحاملات نذورهنَّ الى قبور الاولياء
ألموقدات شموعهنّ تلقّ ألسنها الكثيره
كِسر الرغيف ويعتصرن دم الثديِّ الى الذماء
وتأوُّه المستنقعات وزفة البرديِّ فيها

وطنين أجنحة البعوض كأن غرقى ساكنيها
يتنفَّسون من القرار ويضرعون الى السماء
أن ينجو الاطفال من غرق وحمّى في الهواء ،
وملالة الاكواخ تشرب كل امطار الشتاء
حتى تغص بها فللقصب النقيع بكل ماء
شهقات محتضر يُغر وإن تقيأ بالدواء ،
وتنهد الاشجار عطشى يابسات في الظهيره
تتكسرّ الورقات فيها والمناقير الصغيره ،
فكأن مقبرة الهجيره
تمتصُّ من رحم الحياة لتسقي الموتى عصيره

أنا قارىء الدم لا تراه وانت انت المستبيحُ ،
أفلست تجرؤ أن تحدّق فيه علك تستريحُ
من ازديارِ دمٍ تُذرّ على جفونك منه نار
لزج يسيل مع الرقاد كأن بؤبؤك الذبيحُ ؟
قابيل حدَّق في دماء أخيه أمس
وأنت يأخذك الدوارْ
من رؤية الدم وهو ينزف ثم يركد فالغبار
من تحته كفم الرضيع له اختلاج وافترار
أتخاف ان تطأ النبوءة مقلتيكَ « هو الدمار »

أتخاف منها أن تفرّ كأن سرب قطا يثارُ
فأنت من هلع تخضّ الى المشاش « هو الدمار »
إني خبرت الجوع يعصر من دمي ويمصّ مائي
وعرفت ما قلق الطريد يكاد كل فم ورائي
يعوي بـ « ها هوذا » وتوشك كل عين ألتقيها
أن يومض اسمي في قرارتها وجهلي بالدروبِ
ولست أسأل عابريها عن بعيد عن قريب
من منتهاها واكتئابي والحنين مع الغروب
وتوقع المتعقبين خطاي أحسب في صداها
وقع الخطى وأكاد التفت التفاتة مُستريبِ
ألا تشدّ يدٌ على كتفي ، وأُوشك ان أراها
أعرفتَ ذاك ؟ فسوف تعرف منه دنيا في مداها
تصطفّ أعمدةٌ عوابسُ ثم تسمع من يصيحُ
« هوذا يساق الى الحساب » كأنما اطّرحت رداها
جثثُ القبور ، كأن صوتاً من لظى حملته ريح
من كل أودية الجحيم هوا ... ه !

ثعلبُ المَوت

كم يُضُّ الفؤادَ أن يُصبح الأنسان صَيْداً لرميةِ الصيّاد؟
مثل أيِّ الظبّاءِ ، أيِّ العصافير ، ضعيفا
قابعاً في ارتعادة الخوف،يختضُّ ارتياعاً ، لأنَّ ظلاً مخيفا
يرتمي ثمّ يرتمي في اتِّئادِ
ثعلبُ الموت ،فارسُ الموت ، عزرائيل يُدنو ويشحذ النَّصْلَ آهِ
منه آهٍ ، يصكُّ أسنانه الجوعى ويرنو مهدِّداً يا إلهي
ليت أنّ الحياة كانت فناء
قبل هذا الفناءِ ، هذي النهايه ،
ليت هذا الختامَ كان ابتداء
واعذاباه،إذ ترى أعْينُ الأطفالِ هذا المهدِّدَ المستبيحا ،
صابغاً بالدماء كفَّيْه ، في عينيْه نارٌ وبين فكّيْه نارُ
كم تلوَّتْ أكفُّهم واستجاروا ،
وهو يدنو .. كأنّه احتثَّ ريحا ،
مستبيحا ،

مستبيحاً ، مهدِّداً ، مستبيحـا
منْ رآها، دجاجةَ الريف، إذ يُمسي عليها المساءُ في بُسْتانِه؟
حين ينسلُّ نحوها الثعلب الفرّاس، يا للصريف من أسنانِـه !
وهي تختضُّ ، شلّـها الرعبُ، أبقاها بحيثُ الردى ـ
كأنَّ الدروبَ

استلّـها ماردٌ ، كأنَّ النيوبا

سور بغداد موصد الباب، لامنجى لديه ولا خلاصٌ يُنال.
هكذا نحن حينما يُقبل الصيّادُ عزريلُ
رجفةٌ فاغتيالُ

المبغى

بغداد[1] ؟ مبغىً كبيرْ
(لواحظ المغنِّيَه
كساعةٍ تتكُّ في الجدارْ
في غرفة الجلوس في محطّة القطارْ)
يا جثةً على الثرى مستلقيَه
الدود فيها موجةٌ من اللهيب والحريرْ

بغداد كابوسٌ : (ردىً فاسدُ
يجرعه الراقدُ
ساعاته الأيام ، أيّامه الأعوام ، والعام نيرْ
العام جُرحٌ ناغرٌ في الضمير)

عيون المها بين الرصافة والجسرِ
ثقوب رَصاصٍ رقّشتْ صفحة البدرِ ؛

---

(١) كتبت في العهد المباد .

ويسكب البدر على بغداد ؟
من ثُقْبي العينين شلاّلاً من الرمادْ
الدور دارٌ واحده ،
وتُعصر الدروب ، كالخيوط ، كلُّها
في قبضةٍ ماردة
تمطُّها ، تشلُّها ،
تُحيلها دربْاً الى الهجير
وأوجه الحسان كلُّهنَّ وجه « ناهده »
(حبيبتي التي لُعابها عَسَلْ ،
صغيرتي التي أردافُها جبل
وصدرُها قلل)

ونحن في بغداد ؟ من طينٍ
يعجنه الخزّافُ تمثالا ،
دنيا كأحلام المجانين
ونحن ألوانٌ على لجِّها المرتجِّ أشلاءً وأوصالا

بالأمس كان العيد ، عيد الزهورْ
الزادُ تحثوه الربى ، والخمور ،
والرقص ، والأغنيات

والحب ، والكركرات
ثم انتهى الا بقايا طيور
تلتقط الحَبَّ ، وإلاَّ دماء
ممّا نماه الحقلُ طيرٌ وشاء
وغير أطفال يطوفون أور

ـ « ألعيدُ ، من قال انتهى عيدُنا ؟
فلتملأ الدنيا أناشيدُنا
فالأرض ما زالت بعيدٍ تدور »
بالأمس كان العيد ، عيد الزهور
واليوم ؟ ما نفعلُ ؟
نزرعُ أم نقتلُ ؟

أهذه بغـــداد ؟
أم أن عاموره
عادت فكان المعادْ
موتاً ؟ ولكنني في رنّة الأصفادْ
أحسَسْتُ ..ماذا ؟ صوتَ عاموره
أم صيحةَ النُّسْغ الذي في الجذورْ ؟

النهر والموت

بُوَيْبْ
بُوَيْبْ
أجراسُ بُرْجٍ ضاع في قرارة البَحَرْ
ألماءُ في الجرار ، والغروبُ في الشَّجَر
وتنضحُ الجرارُ أجراساً من المطرْ
بلُّورُها يذوبُ في أنينْ
« بُوَيْبُ يا بُوَيبْ ! » ،
فيَدْلَهِمُّ في دمي حنينْ
إليْكَ يا بُوَيْب ،
يا نهريَ الحزينَ كالمطر
أودُّ لو عدوْتُ في الظلامْ
أشدُّ قبْضتيَّ تحملان شوْقَ عام
في كلِّ إصبَعٍ ، كأني أحملُ النّذورْ
إليكَ ، من قمحٍ ومن زهورِ
أودُّ لو أطلُّ من أسرّةِ التلالِ
لألمحَ القَمَرْ

يخوض بينَ ضفتيكَ ، يزرع الظلالْ
ويملأ السِّلال
بالماء والأسماكِ والزّهَر
أودُّ لو أخوض فيكَ ، أتبعُ القمر
وأسمعُ الحصى يصلُّ منك في القرار
صليلَ آلافِ العصافير على الشجر .
أغابةٌ من الدموعِ أنت أم نهرْ ؟
والسَّمكُ الساهرُ ، هل ينام في السَّحَر ؟
وهذه النجومُ ، هل تظلُّ في انتظارْ
تُطعِمُ بالحرير آلافاً من الإبَرْ ؟
وأنتَ يا بُويْب
أودُّ لو غرقتُ فيك ، ألقِطُ المحارْ
أشيدُ منه دار
يُضيءُ فيها خُضْرةَ المياهِ والشَّجر
ما تنضحُ النجومُ والقمر ،
وأغتدي فيكَ مع الجَزْرِ إلى البحرْ !
فالموت عالمٌ غريبٌ يفتنُ الصِّغار ،
وبابُه الخفي كان فيكَ ، يا بُوَيبْ

٢

بوَيبُ يـــا بُويبْ ،

عشرون قد مضيـن ، كالدُّهور كلُّ عـام .
واليوم، حين يُطبقُ الظلامْ
وأستقِـرُّ في السرير دون أن أنام
وأرهفُ الضميرَ : دوحةً الى السَّحَـرْ
مرهفـــة الغصونِ والطيور والثمرْ –
أحسُّ بالدِّماء والدموع ، كالمطرْ
ينضَـحُـهُـنَّ العالمُ الحزينْ
أجراس موتى في عروقي تـُرعشُ الرنينْ ،
فيدلهمُّ في دمي حنين
إلى رصاصةٍ يشق ثلجُـهـــا الزُّؤامْ
أعماقَ صدري ، كالجحيم يُشعِـل العظام .
أودُّ لو عدوتُ أعْضد المكافحينْ
أشدّ قبضتيَّ ثم اصفعُ القدَرْ
أودُّ لو غرقتُ في دمي إلى القرار ،
لاحملَ العبءَ مع البشرْ
وأبعث الحياة . إنَّ موتيَ انتصار !

المسيح بعد الصلب

بعدما أنزلوني ، سمعتُ الرياحْ
في نواحٍ طويلٍ تسفُّ النخيلْ ،
والخطى وهي تنأى إذن فالجراحْ
والصليبُ الذي سمّروني عليه طوال الأصيلْ
لم تُمتْني . وأنصتُّ كان العويلْ
يعبر السهلَ بيني وبين المدينه
مثل حبل يشدّ السفينه
وهي تهوي الى القاع كان النواح
مثل خيط من النور بين الصباح
والدجى ، في سماء الشتاء الحزينه
ثم تغفو ، على ما تُحسُّ ، المدينه

حينما يُزهر التوتُ والبرتقالْ ،
حين تمتدُّ « جَيْكورُ » حتى حدودِ الخيالْ ،
حين تخضرُّ عُشباً يغنّي شذاها

والشموس التي أرضعتها سناها ،
حين يخضرُّ حتى دجاها ،
يلمس الدفءُ قلبي ، فيجري دمي في ثراها
قلبيَ الشمسُ اذْ تنبضُ الشمس نورا ،
قلبيَ الارض ، تنبض قمحاً ، وزهراً ، وماءً نميرا ،
قلبيَ الماءُ ، قلبي هو السنبلُ
مَوْته البعثُ يحيا بمن يأكلُ
في العجين الذي يستديرُ
ويُدحى كنهدٍ صغير ، كثَدْي الحياه ،
متُّ بالنار أحرقت ظلماءَ طيني ، فظلَّ الإلـه
كنتُ بدءاً ، وفي البدء كان الفقير
متُّ ،كي يؤكلَ الخبز باسمي ، لكي يزرعوني مع الموسمِ ،
كم حياةٍ سأحيا ففي كلِّ حفره
صرتُ مستقبلاً ، صرت بذره ،
صرتُ جيلاً من الناس ، في كل قلبٍ دمي
قطرةٌ منه او بعضُ قطره .

هكذا عدتُ ، فاصفرَّ لما رآني يهوذا
فقد كنتُ سِرَّه
كان ظلاً ، قد اسودَّ ، منّـي ، وتمثالَ فكره

جُمِّدتْ فيه واستُلَّتِ الروح منها ،
خاف ان تفضح الموتَ في ماء عينيه ...
(عيناه صخره
راح فيها يُواري عن الناس قَبْره)
خاف من دفئها ، من مُحالٍ عليه ، فخبَّر عنها
ـ « انتَ ؟ ام ذاك ظلي قد ابيضَّ وارفضَّ نورا ؟
أنت من عالم الموت تسعى ؟ هو الموتُ مرَّه
هكذا قال آباؤنا ، هكذا علَّمونا ، فهل كان زورا ؟ »
ذاك ما ظنَّ لما رآني ، وقالته نظره

*

قدَمٌ تعدو ، قدمٌ ، قدمُ
ألقبر يكاد بوقْع خُطاها ينهدم .
أترى جاءوا ؟ من غيرهمُ ؟
قدمٌ .. قدمٌ . قدمُ
ألقيتُ الصخر على صدري ،
أوَما صلبوني امسِ ؟.. فها أنا في قبري
فليأتوا ـ إني في قبري
من يدري أني ...؟ مَن يدري ؟!
ورفاقُ يهوذا ؟! مَن سيصدِّق ما زعموا ؟
قدَمٌ قدمُ

ها أنا الآن عريانُ في قبري المظلم
كنتُ بالأمس ألتفُّ كالظنِّ ، كالبرعم ،
تحت أكفانيَ الثلجِ ، يخضلُّ زهرُ الدمِ ،
كنتُ كالظلِّ بين الدجى والنهارْ ـ
ثم فجَّرتُ نفسي كنوزاً فعرَّيتها كالثمار
حين فصَّلْتُ جيبي قماطاً وكمّي دثار ،
حين دفّأتُ يوماً بلحمي عظامَ الصغار ،
حين عرَّيْتُ جرحي ، وضمّدت جرحاً سواه ،
حطّم السورُ بين وبين الإلـهْ

فاجأ الجندُ حتى جراحي ودقات قلبي
فاجأوا كلَّ ما ليس موتاً وإن كان في مقبره
فاجأوني كما فاجأ النخلةَ المثمره
سربُ جوْعى من الطير في قريةٍ مقفره

أعينُ البندقيات يا كلْنَ دربي ،
شُرَّعٌ تحلم النارُ فيها بصلبي ،
إن تكن من حديدٍ ونارٍ ، فأحداقُ شعبي
من ضياء السماوات ، من ذكرياتٍ وحُبِّ
تحمل العبءَ عني فيندى صليبي ، فما أصغره

ذلك الموتُ ، موتي ، وما أكبره !

بعد أن سمَّروني وألقيتُ عينيَّ نحو المدينه
كدتُ لا أعرف السهلَ والسور والمقبره :
كان شيءٌ ، مدى ما ترى العينُ ،
كالغابة المزْهره ،
كان ، في كلِّ مرمى ، صليبٌ وأمٌّ حزينه
قُدِّس الربُّ !
هذا مخاضُ المدينـــه .

مدينة السندباد

جوعانُ في القبر بلا غذاءْ
عريان في الثلج بلا رداء
صرختُ في الشتاء
أقِضّ يا مطر
مضاجع العظام والثلوج والهباءْ ،
مضاجع الحَجَر ،
وأنبتِ البذور ، ولتفتّح الزّهر ،
وأحرقِ البيادرَ العقيمَ بالبروقْ
وفجّر العروقْ
وأثقلِ الشجرْ
وجئتَ يا مطرَ ،
تفجّرتْ تنثك السماءُ والغيومْ
وشُقِّق الصخَر ،
وفاض ، من هباتِك ، الفراتُ واعتكر
وهبّتِ القبورُ ، هزَّ موتها وقامْ

وصاحتِ العظام
تبارك الالهُ ، واهبُ الدَّمِ المطر
فآهِ يا مطرْ !
نودُّ لو ننامُ من جديد ،
نودُّ لو نموت من جديد ،
فنومنا براعِمُ انتباه
ومَوتنا يخبِّىء الحياه ؛
نودُّ لو أعادنا الإلـه
الى ضمير غيبه المُلبّد العميق ؛
نودُّ لو سعى بنا الطريق
الى الوراءِ ، حيث بدْؤه البعيد .
مَنْ أيقظَ « العازرَ » من رقاده الطويل ؟
ليعرف الصباحَ والأصيلْ
والصيفَ والشتاءْ ،
لكي يجوع أو يُحسَّ جمرةَ الصدى ،
ويحذر الردى ،
ويحسب الدقائق الثِّقال والبِّراعْ
ويمدح الرعاع
ويسفك الدماء !
من الذي أعادنا ، أعاد ما نخاف ؟

من الإلهُ في ربوعنا ؟
تعيش نارُه على شموعنا
يعيش حقده على دموعنا

٢

أهذا أدونيس ، هذا الخواءْ ؟
وهذا الشحوبُ ، وهذا الجفافْ ؟
أهذا أدونيس ؟ أين الضياءْ ؟
وأين القطافْ ؟
مناجلُ لا تحصد ،
أزاهرُ لا تَعقدُ ،
مزارعُ سوداء من غير ماءْ !
أهذا انتظار السنين الطويله ؟
أهذا صراخ الرجوله ؟
أهــذا أنينُ النساء ؟
أدونيس ! يا لاندحار البطوله .
لقد حطَّم الموتُ فيك الرجاءْ
وأقبلتَ بالنظرة الزائغه
وبالقبضةِ الفارغه :
بقبضةٍ تهدِّدُ

ومنجل ، لا يحصدُ
سوى العظام والدمِ
أليومَ ؟ والغدُ ؟
متى سيولد ؟
متى سنُولد ؟

٣

ألموتُ في الشوارعِ ،
والعقم في المزارعِ ،
وكلُّ ما نحبّه يموتْ
ألماء قيَّدوه في البيوتْ
وألهتَ الجداولَ الجفافْ
هُمُ التتارُ أقبلوا ، ففي المدى رعافْ ،
وشمسنا دمٌ ، وزادُنا دمٌ على الصِّحافْ .
محمّدُ اليتيمُ أحرقوه فالمساءْ
يضيءُ من حريقه ، وفارتِ الدماءْ
من قدميه ، من يديه ، من عيونهِ
وأحرق الإله في جفونهِ
محمّدُ النبيُّ في « حِراءَ » قيَّدوه
فسُمِّر النهارُ حيث سمّروه .

غداً سيُصلب المسيحُ في العراقْ ،
ستأكل الكلابُ من دم البراقْ [1]

٤

يا أيها الربيع
يا أيها الربيعُ ما الذي دهاكْ ؟
جئتَ بلا مطر
جئت بلا زَهَر ،
جئت بلا ثَمرْ ،
وكان منتهاكَ مثل مبتداكْ
يلفُّه النجيع ...
وأقبل الصيفُ علينا أسودَ الغيومْ
نهاره هموم ،
وليله نسهر فيه نحسب النجومْ ؛
حتى اذا السنابلُ
نضجْنَ للحصادْ
وغنّت المناجلُ
وغطّت البيادرُ الوهادْ ،

---

(١) الجواد الذي أسرى عليه النبي محمد من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، ليلة معراجه .

خُيِّـل للجياعِ أنَّ ربَّـة الزَّهرْ ،
عُشتار ، قد أعادت الأسير للبشر ،
وكلّلت جبينه الغضير بالثمـر ،
خُيِّـل للجياع أنَّ كاهل المسيح
أزاح عن مدفنه الحجَـر
فسار يبعث الحيـاة في الضَّـريحْ
ويُبرىءُ الأبرصَ أو يجدِّد البصر ؟
من الذي أطلق من عقالها الذئاب ؟
من الذي سقى من السَّـراب ؟
وخبّـأ الوباءَ في المطر ؟
ألموتُ في البيوت يُولَـدُ ،
يولد قابيلُ لـكي ينتزع الحياه
من رَحِم الارض ومن منابع المياه ،
فيُظلم الغدُ
وتُجهض النساء في المجازر ،
ويرقص اللهيبُ في البيادر ،
ويهلك المسيحُ قبل العازر ؛
دعوه يرقدُ ،
دعوه فالمسيح ما دعاه !

ما تبتغون ! لحمه المُقدَّدُ
يُباع في مدينة الخُطاه ،
مدينةِ الحبال والدماء والخمور ،
مدينـــة الرصاص والصخور !
أمس أزيح من مداها فارس النُّحاس ،
أمس أزيح فارسُ الحجَر ،
فران في سمائهـــا النّعاس
ورنَّق الضجَر ،
وجال في الدروب فارسٌ من البشر
يقتِّل النساء
ويصبغ المهودَ بالدمـــاء
ويلعن القضاء والقدر !

٥

كأنّ بابل القديمة المسوَّره
تعود من جديـــدْ ،
قبابهـا الطوالُ من حديدْ
يدقّ فيها جرسٌ كأنّ مقبره
تئنّ فيه ، والسماء ساحُ مجزره

جنانُها المعلَّقات زرعها الرؤوس
تجزُّها قواطع الفؤوس ،
وتنقر الغربان من عيونها ،
وتغرب الشموس
وراء شعرها الخضيب في غصونهـــا
أهـــذه مدينتي ؟ أهـــذه الطلول
خُطّ عليها « عاشتِ الحيـــاه »
من دم قتلاهـــا ؛ فـلا إله
فيها ، ولا ماءَ ، ولا حقول ؟
أهـــذه مدينتي ؟ خناجر التتر
تـُغمد فوق بابها ، وتلهث الفلاه
حول دروبها ، ولا يزورهـــا القمر ؟
أهذه مدينتي أهـــذه الحـُفَـر
وهذه العظامْ ؟
يطلُّ من بيوتها الظلام
وتـُصبغ الدماء بالقتام
لـكي تضيع ، لا يراها قاطع الأثر ؟
أهذه مدينتي ؟ جريحـة القباب
فيهـا يهوذا أحمر الثياب
يسلِّط الكلاب

على مهود إخوتي الصغار . . والبيوت ،
تأكل من لحومهم وفي القرى تموت
عشتار عطشى ، ليس في جبينها زهَر ،
وفي يديها سلَّةٌ ثارها حجَر
تُرجَم كلُّ زوجة به وللنخيلْ
في شطِّها عويل .

أنشودة المطر

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحَر ،
أو شُرفتان راح ينأى عنهما القمر
عيناك حين تبسمان تورق الكروم
وترقص الأضواء .. كالأقمار في نهَر
يرجّه المجذاف وهْناً ساعة السَّحَر
كأنما تنبض في غوريهما ، النّجومْ

وتغرقان في ضبابٍ من أسى شفيفْ
كالبحر سرَّح اليدين فوقه المساء ،
دفء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف ،
والموت ، والميلاد ، والظلام ، والضياء ؛
فتستفيق ملء روحي ، رعشة البكاء
ونشوةٌ وحشيَّةٌ تعانق السماء
كنشوة الطفل إذا خاف من القمر !
كأن أقواس السحاب تشرب الغيوم

وقطرةً فقطرةً تذوب في المطر
وكركر الأطفالُ في عرائش الكروم ،
ودغدغت صمت العصافير على الشجر
أنشودةُ المطر
مطر
مطر
مطر
تثاءب المساء ، والغيومُ ما تزالْ
تسحُّ ما تسحّ من دموعها الثقالْ
كأنَّ طفلاً بات يهذي قبل أن ينام
بأنَّ أمّـه ـ التي أفاق منذ عامْ
فلم يجدها ، ثمَّ حين لجّ في السؤال
قالوا له : « بعد غدٍ تعودْ » ـ
لا بدَّ أن تعودْ
وإنْ تهامس الرفاق أنَّـها هناكْ
في جانب التلّ تنام نومة اللّـحود
تسفّ من ترابها وتشرب المطر ؛
كأن صياداً حزيناً يجمع الشِّـباك
ويلعن المياه والقَـدَر
وينثر الغناء حيث يأفل القمر

مطر
مطر
أتعلمين أيَّ حُزْنٍ يبعث المطر ؟
وكيف تنشج المَزاريب إذا انهمر ؟
وكيف يشعر الوحيد فيه بالضّياع ؟
بلا انتهاء ـ كالدَّم المراق ، كالجياع ،
كالحبّ ، كالأطفال ، كالموتى ـ هو المطر !
ومقلتاك بي تطيفان مع المطر
وعبر أمواج الخليج تمسح البروقْ
سواحلَ العراق بالنجوم والمحار ،
كأنها تهمّ بالشروق
فيسحب الليل عليها من دمٍ دثارْ
أصيح بالخليج « يا خليجْ
يا واهب اللؤلؤ ، والمحار ، والرّدى ! »
فيرجعُ الصّدى
كأنّه النشيجْ
« يا خليج
يا واهب المحار والردى »

أكاد أسمـــع العراق يذْخرُ الرعودْ

ويخزن البروق في السّهول والجبـــالْ ،
حتى إذا ما فضَّ عنها ختمها لرّجالْ
لم تترك الرياح من ثمودْ
في الوادِ من أثرْ
أكاد أسمع النخيل يشربُ المطر
وأسمع القرى تئنّ ، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع ،
عواصف الخليج ، والرعود ، منشدين
« مطر
مطر
مطر
وفي العراق جوعْ
وينثر الغلالَ فيه موسم الحصاد
لتشبع الغربان والجراد
وتطحن الشّوان والحجر
رحىً تدور في الحقول حولها بشر
مطر
مطر
مطر
وكم ذرفنا ليلة الرحيـل ، من دموعْ

ثمَّ اعتللنا ـ خوف أن نلامَ ـ بالمطر
مطر
مطر
ومنذ أنْ كنَّا صغاراً ، كانت السماء
تغيمُ في الشتاء
ويهطـــل المطر ،
وكلّ عام ـ حين يعشب الثرى ـ نجوع
ما مرَّ عامٌ والعراق ليس فيه جوعْ .
مطر ...
مطر
مطر
في كل قطرة من المطر
حمراءُ أو صفراء من أجنَّة الزَّهَر
وكلّ دمعةٍ من الجياع والعراة
وكلّ قطرة تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد
أو حُلمةٌ تورَّدتْ على فم الوليدْ
في عالم الغد الفتيّ ، واهب الحياة !
مطر
مطر

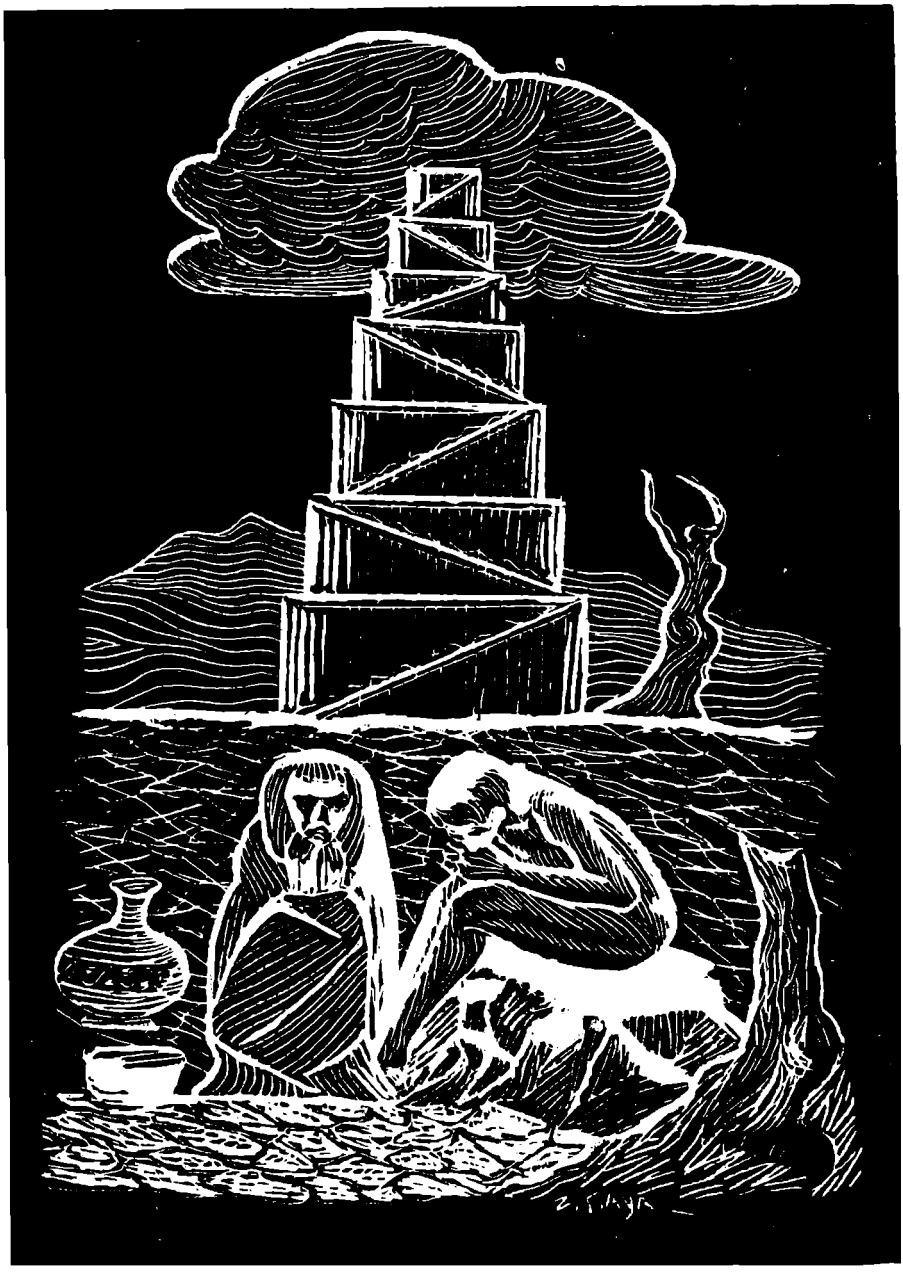

مطر
سيُعشبُ العراق بالمطر »

أصيح بالخليج « يا خليج
يا واهب اللؤلؤ ، والمحار ، والردى ! »
فيرجع الصدى
كأنّـه النشيج
« يا خليج
يا واهب المحار والردى »
وينثر الخليج من هِباته الكثارْ ،
على الرمال ، : رغوه الأُجاج ، والمحار
وما تبقّى من عظام بائسٍ غريق
من المهاجرين ظلّ يشرب الردى
من لجّة الخليج والقرار ،
وفي العراق ألف أفعى تشرب الرّحيق
من زهرة يربّـها الفرات بالنّـدى .
وأسمع الصدى
يرنّ في الخليج
« مطر
مطر

مطر
في كلّ قطرة من المطر
حمراء أو صفراء من أجنّةِ الزّهَر
وكلّ دمعة من الجياع والعراة
وكلّ قطرةٍ تراق من دم العبيدْ
فهي ابتسامٌ في انتظار مبسمٍ جديد
أو حُلمةٌ تورّدت على فم الوليدْ
في عالم الغد الفتيّ ، واهب الحياة »

ويهطل المطر

سربروس في بابل

ليعوِ سرْبروسُ [1] في الدروب
في بابلَ الحزينةِ المهدَّمه
ويملأِ الفضاءَ زمزمه ،
يمزّق الصّغار بالنيوب ، يقضِم العظامْ
ويشربُ القلوبْ
عيناه نَيْزكان في الظلامْ
وشدقُه الرهيب موجتان من مُدى
تخبّىء الردى
- أشداقه الرهيبة الثلاثةُ احتراقْ
يؤجُّ في العراقْ -
ليعوِ سربروس في الدروب
وينبش الترابَ عن إلهنا الدفين

(١) الكلب الذي يحرس مملكة الموت ، في الاساطير اليونانية ، حيث يقوم عرش « برسفون » آلهة الربيع بعد ان اختطفها إله الموت . وقد صوره دانتي في « الكوميديا الالهية » حارساً ومعذّباً للارواح الخاطئة .

تمّوزِنا الطعين ،
يأكله يمصُّ عينيه الى القرارْ ،
يقصم صلبه القويَّ ، يحطم الجرار
بين يديْهِ ، ينثر الورودَ والشقيقْ
أوّاهْ لو يُفيق
إلهنا الفتيُّ ، لو يُبرعمُ الحقولْ ،
لو ينثر البيادرَ النُّضارَ في السهول ،
لو ينتضي الحُسامَ ، لو يفجِّر الرعود والبروقَ والمَطَرْ
ويُطلق السيولَ من يديه آهِ لو يؤوب !
لِحافُنا التراب ، فوقه من القَمرْ
دمٌ ، ومن نهودِ نسوة العراق طينْ
ونحن اذ نبصُّ من مغاور السنينْ
نرى العراقَ ، يسألُ الصغارُ في قُراه
« ما القمحُ ؟ ما الثمر ؟ »
ما الماء ؟ ما المهود ؟ ما الإله ؟ ما البَشَرْ ؟
فكلُّ ما نراه
دمٌ ينزُّ أو حبالٌ ، فيه ، أو حُفَر
أكانت الحياه
أحبَّ أن تُعاش ، والصغارُ آمنين ؟
أكانت الحقولُ تُزهرُ ؟

أكانت السماء تُمطر ؟
أكانت النساء والرجال مؤمنينْ
بأنَّ في السماء قوّةً تدبِّرُ ،
تُحِسُّ ، تسمع الشكاةَ ، تُبصر ،
ترقّ ، ترحم الضِّعاف ، تغفر الذنوبْ ؟
أكانت القلوبْ
أرقَّ ، والنفوس بالصفاء تقطرُ ؟ »
وأقبلتْ إلهة الحصادْ ،
رفيقةُ الزهورِ والمياه والطيوب ،
عشتارُ ربَّةُ الشمال والجنوبْ ،
تسير في السهول والوهادْ
تسير في الدروب
تلقط منها لحم تمُّوز اذا انتثر ،
تلمُّه في سلَّةٍ كأنه الثمر
لكنَّ سربروس بابل – الجحيم
يحبُّ في الدروب خلفها ويركضُ ،
يمزِّق النعالَ في أقدامها ، يعضعضُ
سيقانَها اللدانَ ، ينهش اليدين أو يمزِّق الرداءْ ،
يلوِّث الوشاح بالدمِ القديم
ويمزج الدم الجديدَ بالعواءْ

ليعورِ سوبروسُ في الدروبْ
لينهش الإلهة الحزينةَ ، الإلهة المروَّعة ؛
فأن من دمائها ستُخصب الحبوبْ ؛
سينبت الالـهُ ، فالشرائحُ الموزَّعة
تجمَّعتْ ، تململتْ .. سيُولَدُ الضياءْ
من رحِمٍ ينزُّ بالدمـاء

مَدينة بلا مَطر

مدينتُنا تؤرِّق ليلَها نارٌ بلا لَهَبِ
تُحمُّ دروبُها والدُّور ، ثم تزول حمّاها
ويصبغها الغروب بكلّ ما حملتْه من سحُبِ
فتوشك أن تطير شرارةٌ ويهبَّ موتاها
« صحا من نومه الطينيِّ تحت عرائش العِنَب
صحا تمّوزُ ، عاد لبابلَ الخضراءِ يرعاها . »
وتوشك أن تدقَّ طبولُ بابلَ ، ثم يغشاها
صفيرُ الريح في أبراجها وأنينُ مرضاها
وفي غرفات عُشْتارِ
تظل مجامر الفخّار خاويةً بلا نارِ ،
ويرتفع الدعاءُ ، كأن كلَّ حناجر القصبِ
من المستنقعات تصيح
« لاهثةً من التَعبِ
تؤوب إلهةُ الدمِ ، خُبزُ بابلَ ، شمسُ آذارِ
ونحن نهيم كالغرباء من دارٍ إلى دارِ

لنسألَ عن هداياها
جياعٌ نحن واأسفَاه ! فارغتان كفَّاها
وقاسيتان عيناها
وباردتان كالذهب
سحائبُ مُرعداتٌ مُبرِقاتٌ دون إمطارِ
قَضينْا العام ، بعد العام ، بعد العام ، نرعاها ،
وريحٌ تشبه الإعصار ، لا مرّت كإعصارِ
ولا هدأتْ ـ ننام ونستفيقُ ونحن نخشاها
فيا أربابنا المتطلعين بغير ما رحمه ،
عيونكمُ الحجار نُحِسُّها تنداح في العتمه
لترجمنا بلا نقمه ؛
تدور كأنهنَّ رحى بطيئاتٌ تلوكُ جفونَنَا
حتى ألفْناها ،
عيونكم الحجار كأنّها لبنِات أسوارِ
بأيدينا ، بما لا تفعل الأيدي ، بنيناها
عذارانا حزانى ذاهلاتٌ حول عشْتارِ
يغيض الماء شيئاً بعد شيء من محيّاها ،
وغُصناً بعد غصنٍ تذبل الكرمه
بطيءٌ موْتنا المنْسلُّ بين النور والظلمة ،
له الويلاتُ من أسدٍ نكابد شدقه الأدردْ !

أنارُ البرق في عينيه أم من شُعلة المعبـد ؟
أفي عينيه مبخرتان أوجرتا لعشتار ؟
أنافذتان من ملكوت ذاك العالم الأسود
هنالك حيث يحمل ، كلَّ عامٍ ، جُرحَـه الناريّ ،
جُرح العالم الدوّار ، فاديهِ
ومنقذه الذي في كل عامٍ من هناك يعود بالأزهارِ
والأمطار ـ تجرحنا يداه لنستفيق على أياديهِ ؟
ولكن مرّتِ الأعوام ، كثراً مـــا حسبناها ،
بلا مطرٍ ولو قطره
ولا زهرٍ ولو زهره
بلا ثمرٍ ـ كأنّ نخيلَنا الجرداء أنصابٌ أقمناها
لنذبل تحتها ونموت
سيـدنا جفانا آهِ يا قَبْـره
أما في قاعك الطيني من جرّة ؟
أما فيها بقايا من دماء الربّ أو بذره ؟
حدائقه الصغيرة أمس جعنا فافترسناها
سرقنا من بيوت النمْل ، من اجرانها ، دخْناً وشوفاناً
وأوشاباً زرعناها
فوفّيْنا ـ وما وفّى لنا ـ نَذره ! »

وسار صغار بابل يحملون سلال صبّارِ

وفاكهةٍ من الفخَّار ، قرباناً لعشتار
ويشعل خاطفُ البرق ،
بظلٍّ من ظلال الماء والخضراء والنار ،
وجوهَهُم المدوَّرة الصغيرة وهي تستَسْقي .
فيوشك أن يفتِّح – وهي تومِض – حقلُ نوَّارِ
ورفَّ – كأنّ ألف فراشةٍ نُثرتْ على الأفْقِ
نشيدُهم الصغيرُ

« قبور إخْوتِنا تنادينا
وتبحثُ عنكِ أيدينا
لأنّ الخوفَ ملءُ قلوبنا ، ورياح آذارِ
تهزُّ مهودنا فنخاف والأصواتُ تدعونا
جياعٌ نحن مرتجفون في الظُلمه
ونبحث عن يدٍ في الليل تُطعمنا ، تغطِّينا ،
نشدُّ عيوننا المتلفِّتات بزندها العاري
ونبحث عنكِ في الظلماء ، عن ثديين ، عن حُلْمَه
فيا مَن صدرُها الأفُق الكبير وثديُها الغيْمه
سمعتِ نشيجنا ورأيتِ كيف نموت .. فاسْقينا !
نموت ، وأنتِ – واأسفاه – قاسيةٌ بلا رحمه
فيا آباءنا ، من يفتدينا ؟ من سيُحيينا ؟
ومن سيموت يُولمُ لحمَه فينا ؟ »

وأبرقت السماءُ كأنّ زنبقةً من النارِ
تفتـّح فوق بابلَ نفسـها وأضاء وادينا ،
وغلغلَ في قرارة أرضِنا وَهجٌ فعرّاها
بكلّ بذورها وجذورها وبكلِّ موْتاها
وسحَّ ـ وراءَ ما رفعتـْه بابلُ حول حُمّـادا
وحول ترابها الظمآن ، من عَمَـدٍ وأسوارِ
سحابٌ كان لولا هذه الأسوار روّاها !
وفي أبَدٍ من الاصغاء بين الرعد والرعدِ
سمعنا ، لا حفيف النـّخل تحت العارض السحّاحِ
أو ما وشْوشتـْه الريحُ حيث ابتلـّت الادواحْ ،
ولكن خفقةَ الاقدام والايدي
وكركرةً و « آهَ » صغيرةٍ قبضت بيـُمناهـا
على قمَـر يرفرُفُ كالفراشةِ ، أو على نجْـمَـه
على هبةٍ من الغيـْمه ،
على رعشاتِ ماءٍ ، قطرةٌ همست بها نسمَـه
لنعلم أنّ بابلَ سوف تُغسـَل من خطاياها !

بورسعيد

يا حاصدَ النـــار من أشلاء قتلانـا
منكَ الضحايـــا ، وان كانوا ضحايانا

كم من ردى في حياةٍ ، وانخذالِ ردىً
في ميتةٍ ، وانتصارٍ جـــاء خُذْلانا !

إنّ العيون التي طفّأت أنجُمَهـــا
عجَّلْن بالشمس أن تختار دنيـــانا

وامتدَّ ، كالنور ، في أعماق تُربتنا ،
غرْسٌ لنا من دمٍ ، واخضلَّ موتانـــا

فازَّلْزَلي يا بقـــايا كاد أوَّلُنـــا
يُبقي عليهـــا ، من الأصنام ، لولانا

نحن الذين اقتلعنـــا من أسافِلِهـا
لاةً وعُزّى ، وأعليْنـاهُ إنسانـــا

حُيِّيتِ بورتَ سعيدٍ ، من مَسيلِ دمٍ
لولا افتـــداءٌ لما يُغليه ، ماهانـــا

حيِّيتِ من قلعـــةٍ صمّاءَ ناطحَها
عـادٍ من الوحش يزجيهنَّ قُطعانـــا
عاناكِ في الليَّيل داجٍ من جحافِلِها
نوراً من اللهِ أعمـــاها ونـيرانـــا
ما عـــاد ليلٌ قـــد استخفى بأقنعةٍ
من أوجُهِ الناس ، لولا أنتِ ، عُريْانا
ليلٌ تُعيذُ الكهوفُ السودُ آنيـــةً
فيهـــا وفكّاً لموتاهـــا وصوّانـا
من بعضِ ما فيه من ظلماءَ ، مـا عُرفت
باسمٍ لهـــا ، فهي قبـلَ اسمٍ اذا كانا
حُيِّيتِ من قلعـــةٍ مـا آدَ كاهلها
عِبْءُ السماوات إلاَّ خفَّ إيمـــانا
أمسكتِـها أن يميـد الظالمون بهـا
ديناً لنـــا وانتصاراتٍ وعنوانـــا
يا مرفأ النور ، مـــا أرجعتِ وادعةً
من غير زادٍ ، ولا آويتِ قُرصانـــا
ولا تلفظتِ مـن مرساكِ معتـــدياً
إلا مدمّى ذليـلَ الهـــام خزيْانـا
جمّعتِ من شطِّ صورٍ لمْح أحرُفِها
واخترتِ من بابـلٍ واحتزْتِ مروانا

والنيلُ ســـاقَ العذارى من عرائسه
للخِصـب ، في موكب الفادين ، قُربانا !
فالوَيْـل لو كان للعادين ما قَدَروا !
لانهدَّ مـن حاضرٍ ماضٍ فأخزانـــا
فلا ابتنى هرماً بانٍ ، ولا لبستْ
تيجانَـها ، في انتظـار الروحِ ، موتانا
ولا تفجَّـر في « ذي قارَ » فِتْيَـتُـها
ولا تنفَّستِ الصحـراءُ قُرآنـا !
حُييتِ موتى ، وأحياءً ، وأبنيـــةً
مستشهـداتٍ أو استعصين أركانا
والنـار والباذروب النـار كم زرعوا
من كلِّ ثكلى لعزرائيـل بستانا !
من كلِّ وَجهٍ لطفلٍ فيه زنبقـةٌ
تَدْمى ، وتلثمُ فيـه الرِّيح غِرْبانـا
الجو ممـا يلزّوب الحديدَ بـه
قاعُ الجحـيم التظى وانصبَّ طوفانا
سقّاكِ من كلِّ غـيمٍ فيـه أحرَزَهُ
جوفُ الثرى واشتهتْه النـارُ أزمانا
كأس الرَّصاص الـتي غنّى بتوأمها
« سقراطُ » وابتلَّ منها جرح وهرانا[1]

(١) أُجبر الفيلسوف الأغريقي سقراط على تجرع كأس من السم

من أيِّما رئةٍ ؟ من أي قيثارِ
تنهلُّ أشعاري ؟
من غابةِ النارِ ؟
أم من عويل الصبايا بين أحجار
منها تنزُّ المياه السودُ واللبن المشويُّ كالقار ؟
من أيِّ أحداق طفلٍ فيكِ تغتصبُ ؟
من أيِّ خبزٍ وماءٍ فيك ما صلبوا ؟
من أيِّما شرْفةٍ ؟ من أيِّما دارِ ؟
تنهلُّ أشعاري
كالثارِ ؟
كالنور في رايات ثوّار ؟
من مائكِ السهرانِ أوتاري ؟
أم برجكِ الهاري
يبكي دماً من جرحِ بحّار ؟
أطفالكِ الموتى ، على المرفإ
يبكون في الريح الشماليه ،
والنور من مصباحه المطفإ
قد غار كالمديه
في صدريَ العاري
أطفالك الأموات علرُ الحديد

في عرسه الدامي ، وذلُّ الرصاص ،
مالوا بملك من شقاء العبيد
واستنزلوا أربابه للقصاص
في ساحة النارِ
يبكون في الريح الشماليه
أسرى ، على السُّفْنِ الصليبيه ،
والريح كالمديه
تجتثُّ أظفاري
يبكون في داري

بالقشِّ والطين سدّوا كوّةَ القَمَرِ ،
والريحُ في الشجر
قد كمّموا فاها ،
كي لا تصيح « اخبأوا عن أعيُن الغجرِ
أطفالكم ، فهي ما ترتدُّ احداها
إلا وحال الذي تلقى ، الى حَجَرِ »
الريحُ قيثاري
قد كمّموا فاها

هاويكِ أعلى مـــن الطاغوت فانتصبي
ما ذلَّ غيرُ الصفا للنار والخشبِ

حُيِّيتِ من قنعـــةٍ شقَّ الفضاءَ بهـا
أسٌّ لهـا في صـدور الفتبـــةِ العرب
الطـين فيهـــا دمٌ منـا ، وجندلُـها
من عزمةٍ ، والحديد الصُّلْدُ من غضب
أنتِ السماواتُ والارض ، التي خُلِقت
في عشرةٍ تحسِب الأيـــام بالحُقُب
والصخر فيكِ استمدَّ الروح إذ لمست
عُقْمَ الجماداتِ فيـــه إصبع اللَّهَب
في كلِّ أنقاض دار ، مـــن صفـاه يدٌ
جبـــارةٌ تصفع العـــادين كالشهب
مـــا انهـــدَّ إلا وأعلى في ضمـــائرنا
سدّاً من الثار أعيى حيـــلة النُّوَب
والماء ، حتى زلالُ الماءِ ، فيكِ مُدى
مـن فضّة الله توهي جحفـــلَ الذهب
مـا بـلَّ للجحفـــل المأجـور غُلّتـه
حتى جبى قَدْرَ ماءٍ من دمٍ سرب !
أملى على كلِّ شيء فيـكِ جوهره
خُلْفٌ لجيشين ذي قُربى وذي أرَب
إن الحديدَ الذي صنتِ الحياةَ بـه
غـيرُ الحديـد الذي وافـاكِ بالعطب

والخـــير في بُندقيـات قذائفهـا
حتفُ المغيرين ، والميـلادُ في قُضـب
لكنه الشرُّ في خـبزٍ حقائبُـه
عونٌ لأعدائكِ الجوعى ، وفي قِرب !
ليت المسيـح الذي داجى بشِرْعتِـه
من باع مثواه ، راءٍ فيك عن كثب
خرسٌ نواقيسكِ الثكلى وداميـةٌ
فيكِ الأناجيـلُ ، والموتى بلا صلُب
والحابس الماءَ عن جرحـاكِ حمَّلهـا
عبء الصليبين من حُمَّى ومن خشب
واستنطق الأمَّ ثكلى أين جيرتهـا
مـن فتيـةٍ لاصطيـاد العسكر اللَّجب ؟
فالـتمَّ في مقلتيهـا ، وهي تنظـره ،
كلُّ المخاضات والتسهيـد والنَّصـب
كأنمـا استودعتهـا كـلُّ والـدةٍ
آجـالَ كلِّ الذراري طيـلة الحُقُـبِ
فاختارت الموت معلوكـاً مراضعُهـا ،
معروكةً في رحى تترى مـن الرُّكـبِ
تفدي بمـا يستبيح الجنـدُ من دمها
والنار ، أعراضَ كلِّ الخرَّدِ العُـرُبِ

أبناءُ « جنكيزَ » في روحٍ ، وان بعدوا
في نسبةٍ ربَّ قربى دون مَنْتَسب
شرُّ اللصوص ، اذا عفَّ التتارُ فما
عفّوا عن الرِّيش والأسمال واللُّعبِ !
فلتنفخ الصُّور في أفريقيا أُمَمٌ
بالأمس قد أنزلوها أسفل الرُّتبِ
ولتسمعنَّ الزنوج البيض صيحتها
« إنّا الى الله أدنى منكِ في نسب » !
حُيِّيتِ فالوحش أوهى فيك مخلبه ؛
يا غابة النار قد أثمرْتِ بالغَلَب !

من أيِّ عبءٍ على روحي ومسمارِ
من أعينٍ ، في صليب تحت أسواري ،
تأتيكِ أشعاري ؟
حمراءَ خضراءَ من جُرحٍ ومن غارِ ،
خضراءَ من راية ، حمراءَ من نار ،
خضراءَ كالماء في فردوسكِ الجاري ؟
يا ليت أوتاري
خضراءُ حمراءُ من قلبي ومن ثاري !
يا ليتَ أبوابَ قلبي منكِ تلتهِبُ !

يا ليتها دون قُفلٍ، ليتها خشَبُ !
أو خرّبَ الجندُ قلبي ، فهي تنتحبُ
في كلِّ إعصار !
سودٌ ، كما اسودّت الأموات ، أنهاري
فالطين فيها فمٌ يمتصُّ أسفاري ،
والريحُ في داري
سوداءُ ما رفَّ منها باللَّظى عَصبُ
لا تسألي بعدُ عنها إنها عشُب
أعواده السود غذَّى عجلهُ الذهبُ
منها ، فخبّأتُ في عنيّ قيثاري !
كوني لاشعاري
وحياً ، وشدّي ببأسٍ منك أوتاري .
يا مرفأ النور ، كن مرسىً لافكاري !
يا مرفأ النار
ألهبتَ أغواري
بالثارِ
مزّقت عنها سودَ أستارِ
فانهلّتِ الشمسُ على داري .

كم من دفينٍ ، كلُّ ماء القنالْ

في مدّه العاتي وفي جزرهِ ،
يلقي على صدرهِ
عبْئاً من الظلماء ــ كان القتال
من أجل أن يرتاح في قبرهِ !
ما كان إلاّ من دموع الرِّجال
والنسوةِ الباكين في قعره ،
هذا الذي بين العُبابيـنِ سال !
كالليل هذا الماءُ فوق القبور
كالنار ، كالإعصار ، كالداءِ
تختضُّ في ليل الخليج الصدور ،
والشمسُ تحسو كلَّ ماءِ الصدور
في عالمٍ لم تمشِ فيه العصور ــ
من ملتقىً للماء بالماء !
كالليل هذا الماء ، ندُّ الحياه
الموْت والميلاد بوّابتاه .
في قاعِهِ الموتى قد استبدلوا
بالنبض ، ما يُرغي به المرجلُ
في موقرات ، من سفين الغزاه ،
بالموتِ مما يصنع المعملُ
حتى اذا ما رشَّ عارَ العُتاه

بالدمعِ من عينيه ، والنارِ
من قلبه المورق بالغارِ ،
انسانُكِ العملاق ظِلُّ الإلـه ،
ظِلُّ الملايين التي مقلتـــاه
عنها ترى ما في خيالٍ تراه ،
هذا الذي أعصابُها في قِواه –
أحيى دم الموتى ، فخرَّ الطغاه !
فليحرسِ الاحياء باب الحياه !

غاض المغيرونَ عن واديكِ وانحسروا
فالأرضُ تدمى بقتلاهـــا وتزدهر
وازداركِ المـوتُ لا مُلْـساً ملامحه
بيضاً ، كما تهلك الأنعـــامُ والشجَـر
حاشاك ! فالموتُ توري فيكِ حدّتُـه
طعْـم الدم الحيِّ ، ما يرقى به البشر
أخفاهُ عنك التزامٌ واشتبـــاكُ يدٍ
في مثلها ، فهو حيثُ اجتازهُ البصر
حتى إذا ارتدَّ واستبشعتِ صورتهُ
أدركتِ أيّ انتصارٍ ذلك الظّـفر !
أدركتِ أنَّ الضحـايا ردّ كاثرَهـا
فيكِ الأقلَّ المضَحَّى أنّهـــا كثُـر

من سدّدَ النار في ايديكِ ، يُوردها
كيْدَ المغيرينَ منه الظنُّ والنظر ؟
واحتاز في قلبه الاحتابَ ، يزرعها
في جانبٍ منه واستبسالكِ الثمر ؟
واستنفر الشرق حتى كاد ميِّته
يسعى ؟ أهذا صلاحُ الدين أم عمَر ؟
هذا الذي حدثتنا عنه أنفسنا
في كلِّ دهياءَ نبلوها وننتظر
هذا الذي كلَّ ، عن سحقٍ لبذرته
بالخيل والذابلات ، الرومُ والتتر
يا أمّةً تصنع الاقدارَ من دمها
لا تيأسي انّ « سيف الدولة » القدر
أعطى لكلِّ انتصارٍ فيك جدّتَهُ
فاخضلَّ واخضلت الآيات والسُّور
في مسجدٍ أمّ مشّاءٌ بأُمَّتِه
فيه المصلِّين ، حتى كبَّر الحجر !
واستشرفَ الساح ناءٍ عنه يحمله
ما بين جنبيه ، رامٍ فيه منْتصر
عينٌ لسيناءَ ترقى كلّ رابيةٍ
فيها ، وعينٌ وراء النيل تنحدر

أو تنفِضُ الافق ، حتى ضاءَ من لهبٍ
حملاقها ، فهي ممّا راءَ تستعِر !
جاؤوك ! جاء الصليبيون ، قاصفة
تنقضُّ في اثر أُخرى ، فاللظى مطر
في كلِّ فانوس موتى من قذائفها
نورٌ له اختضّت الابعادُ والعُصُر
فالشرق عارٍ مدى عينيْه ، منبسطٌ
كالراحة الدور ، والاكواخ والحُفر
يكاد يبصر ما أبقاه مكتدحٌ
في جبهةٍ ، واغتذى من مقلةٍ سهر
ايماضةَ البرق الا أنها حقبٌ
تُطوى ، ومستقبل يُبْنى ويدّخز !
المجد لله والانسان ان يداً
تحيي وقلباً يداوي ، منهما أثر !
يا قلعة النور تدمى كلُّ نافذةٍ
فيها ، وتلظى ، ولا تستسلم ، الُحجر
أحسستُ بالذُّلِّ أن يلقاكِ دون دمي
شعري ، وأني بما ضحّيْتِ أنتصر
لكنّها باقةٌ أسعى اليكِ بها
حمراءُ يخضلُّ فيها من دمي زهَر !

١٩٥٦

المومس العمياء

الليل يُطبق مرَّة أخرى ، فتشربه المدينه
والعابرون ، إلى القرارة مثل أغنيةٍ حزينه
وتفتحت ، كأزاهر الدفلى ، مصابيح الطريق ،
كعيون « ميدوزا »[1]، تحجِّر كل قلب بالضغينه ،
وكأنها نذرٌ تبشر أهل « بابل » بالحريق

من أي غاب جاء هذا الليل ؟ من أي الكهوف
من أي وجر للذئاب ؟
من أي عش في المقابر دفَّ أسفع كالغراب ؟
« قابيل »[2] أخفى دم الجريمة بالأزاهر والشفوف
وبما تشاءُ من العطور أو ابتسامات النساء
ومن المتاجر والمقاهي وهي تنبض بالضياء !

(١) في الاساطير اليونانية ان عيون ميدوزا تحول كل من تلتقي بها عيناه الى حجر

(٢) في القرآن الكريم ان الغراب هـــو الذي أرشد قابيل كيف يدفن أخاه بعد ان قتله

عمياء كالخفاش في وضح النهار ، هي المدينه ،
والليل زاد لها عماها
والعابرون
الأضلع المتقوّسات على المخاوف والظنون ،
والأعين التعبى تفتّش عن خيال في سواها
وتعدّ آنيـة تلألأُ في حوانيت الخمور
موتى تخاف من النشور
قالوا سنهرب ، ثم لاذوا بالقبور من القبور !

من هؤلاء العابرون ؟
أحفاد «أوديب»[1] الضرير ووارثوه المبصرون
(جوكست) أرملة كأمس ، وباب « طيبة » ما يزال
يُلقي « أبو الهول » الرهيب عليه ، من رعب ظلال
والموت يلهث في سؤال
باقٍ كما كان السؤال ، ومات معنـــاه القديم
من طُول ما اهترأ الجواب على الشفاه
ـ وما الجواب ؟

(١) تزوج « أوديب » امه « جوكست » وهو لا يدري بأنهـــا امه وطيبة هي المدينة التي دخلها بعد ان قتل اباه ملك طيبة ، فتزوج امه ، زوجة الملك القتيل . وكان « ابو الهول » يحرس مدخل المدينة ويلقي على كل غريب يدخلها سؤالاً : « ما الكائن الذي يمشي على أربع في الفجر واثنتين في الظهيرة وثلاث في المساء » ، وقد حل اوديب هذا اللغز وكان الجواب : «الانسان» .

« أنا » قال بعض العابرين
وانسلَّت الأضواء من باب تشـــاءب كالجحيم
تطفو عليهن البغايا كالفراشات العطـــاش
يبحثن في النيران عن قطرات ماء عن رشاش.

لا تثقلنَّ خطاك فالمبغى « علائي »[1] الأديم
أبناؤك الصرعى تراب تحت نعلك مستباح ،
يتضاحكون ويعولون
أو يهمسون بما جناه أب يبرّؤه الصبـــاح
مما جناه ، ويتبعون صدى خطاك الى السكون

الحارس المكدود يعبر ، والبغايا متعبـات ،
النوم في احداقهن يرفُّ كالطير السجـين ،
وعلى الشفاه أو الجبين
تترنح البسمات والأصباغ ثكلى ، باكيات ،
متعثرات بالعيون وبالخطى والقهقهـــات ،
وكأن عارية الصدور
أوصال جندي قتيل كللوهـــا بالزهور ،

---

(١) نسبة الى ابي العلاء المعري ، الاعمى والقائل « ما أظن اديم الارض إلا من هذه الاجساد » و « هذا جناه ابي علي »

وكأنها درج الى الشهوات ، تزحمه الثغور
حتى يهدَّم أو يكاد .. سوى بقايا من صخور

جيفٌ تستَّر بالطلاء ، يكاد ينكر من رآها
أن الطفولة فجَّرتها ، ذات يومٍ ، بالضياء
كالجدول الثرثار ـ أو أن الصباح رأى خطاها
في غير هذا الغار تضحك للنسائم والسماء ،
ويكاد ينكر أن شقّاً لاح من خلل الطلاء
قد كان ـ حتى قبل اعوام من الدم والخطيئة ـ
ثغراً يكركر ، أو يثرثر بالأقاصيص البريئة
لأبٍ يعود بما استطاع من الهدايا في المساء
لأبٍ يقبّل وجه طفلته النديّ أو الجبينْ
أو ساعدين كفرختين من الحمائم في النقاء
ما كان يعلم أن ألف فمٍ كبئرٍ دون ماءْ
ستمصُّ من ذاك المحيا كل ماء للحياء
حتى يجفّ على العظام ـ وأن عاراً كالوباء
يصم الجباه فليس تُغسل منه إلا بالدماء
سيحلّ من ذاك الجبين به ويلحق بالبنين ـ
والساعدين الأبيضين ، كما تنوّرُ في السهولْ
تفاحة عذراء ، سوف يطوّقان ، مع السنين

كالحيتين ، خصور آلاف الرجـــال المتعبين
الخارجين ، خروج آدم ، من نعيمٍ في الحقول
تفاحه الدمُ والرغيف وجرعتان من الكحول ،
والحيـة الرقطاء ظـــلٌّ من سياط الظالمين
يا أنتَ ، يا أحد السكارى ،
يا من يريد من البغايا مـا يريد من العذارى
(ما ظلَّ يحلم، منذ كان ، به ويزرع في الصحارى
زبد الشواطىء والمحارا
مترقباً ميلاد « أفروديت » [1] ليلاً أو نهارا)
أتريد من هـــذا الحطام الآدمي المستباحْ
دفءَ الربيع وفرحة الحمل الغرير مع الصباح
ودواءَ ما تلقاه من سأمٍ وذلٍّ واكتداح ؟
المال ، شيطان المدينه
لم يحظَ ، من هدا الرهان ، بغير أجساد مهينه
« فاوست » [2] في أعماقهن يعيد أغنية حزينه
المال ، شيطان المدينة ، ربٌّ « فاوست » الجديدْ

---

(١) في أساطير الاغريق أن « أفروديت » ولدت من زبد البحر ونزلت الى البر محمولة على صدفة محار .

(٢) تراهن الله والشيطان على فاوست ، وزعم الشيطان أنـــه يستطيع شراءه روحاً وجسداً . وقبل فاوست بأن يبيع نفسه فوضع الشيطان نفسه في خدمته لقاء ذلك . فرد عليه الشباب ووهبه اللآلىء والمال وأراه شبح هيلين الاغريقية

جارت على الاثمان وفرة ما لديه من العبيد ،
الخبز والاسمـــال حظُّ عبيـــده المتذللين
مما يوزع من عطايا ـ لا اللآلىء والشبابْ ،
والمومس العجفاء ـ لا «هيلين»[1] ، والظمأ اللعين
لا حكمة الفرح المجنَّح والخطيئة والعذاب
الخيل من سأمٍ تحمحم وهي تضرب بالحوافرْ[2]
حجر الطريق
هلمَّ فالحوذي يبحث عن مسافر
والريح صرٌّ ، والبغي بلا زبائن منذ حين
إن لم تضاجعها وصدَّ سواك عنها معرضينَ
فكيف تحيا ؟ وهي ، مثلك لا تعيش بلا طعامْ؟
لا تخش منهـــا أن تُراع بما تأكَّله الجذام
من صدرك النخر العريض. وأنت ويحك يا أخاها
ماذا تريد ، وعمَّ تبحث في الوجوه ؟ ويا أباها
أطعنْ بخنجرك الهواء فأنتما لن تقتلاها
هي لن تموتْ
سيظلّ غاصبها يطاردها وتلفظهـــا البيوت

---

(١) وفي النهـــاية لم يحصل الشيطان إلا على جسد فاوست ، بينما صعدت روحه إلى السماء

(٢) البيت من «فاوست» لغوته ، يقوله الشيطان لفاوست حين كان يزور مرغريت « التي غرر بها وقتل أخاها وولدت طفلاً فقتلته » وهي في سجنها .

ستظلّ ـ ما دامت سهام التبر تصفر في الهواء ـ
تعدو ، ويتبعها « أبولو »[1] من جديد كالقضاء ،
وتظلّ تهمس ، إذ تكاد يداه أن تتلقّفاها
« أبتي أغثني » بيد أنك لا تصيخ إلى النداء ،
لو كنت من عرق الجبين ترشّها ومن الدماء
وتحيلها امرأة بحقّ ، لا متاعاً للشراء
كلّلتَ منها ، بالفخار وبالبطولات ، الجباها !

وكأن ألحاظ البغايا
إبَرٌ تُسَلُّ بها خيوط من وشائعَ في الحنايا
وتظل تنسج ، بينهن وبين حشد العابرين ،
شيئاً كبيت العنكبوت يخضّه الحقد الدفين
حقدٌ سيعصف بالرجالْ
والأخريات النائمات هناك في كنف الرجال
والساهرات على المهود وفي بيوت الأقربين
حول الصلاء بلا اطّراحٍ للثياب ولا اغتسال

---

(١) كانت « دفني » ابنة إله صغير إله أ د الانهار وقد رآها « ابولو » إله الشمس الجبار فأحبها وطاردها محاولاً اغتصابها وقد استنجدت بأبيها فرشها بحفنة من الماء وأحالها إلى شجرة غار تضفر من أغصانها الاكاليل للابطال. اما سهام التبر ، الذهب ، فهي السهام التي كان كيوبيد يرشق بها قلب ابولو ليلهب الحب فيه وقد استعرناها رمزاً لسطوة المال

في الزمهرير ، ودون عدٍّ لليالي والسنين !

ويمر عملاق يبيع الطير ، معطفه الطويلْ
حيران تصطفق الرياح بجانبيه ، وقبضتاه
تتراوحان فللرداء يدٌ وللعبء الثقيلِ
يدٌ ، وأعناق الطيور مرنحات من خطاه
تدمى كأثداء العجائز يوم قطّعها الغزاه
خطواته العجلى ، وصرخته الطويلة : « يا طيور
هذي الطيور ، فمن يقول تعال... »
أفزعها صداه
يأتيه من غُرَف البغايا كاللهاث من الصدور
ويدٌ تشير اليه عن كثب ، وقائلة تعال !
بين التضاحك والسعال
عمياء تطفىء مقلتاها شهوة الدم في الرجال .
وتحسّسته كأن باصرة تهمُّ ولا تدور
في الراحتين وفي الانامل وهي تعثر بالطيور ،
وتوسلته : « فدى لعينك ـ خلّني ... بيدي أراها » .
ويكاد يهتك ما يغلّف ناظريها من عماها
قلبٌ تحرَّق في المحاجر واشرأبَّ يريد نور !
وتمس أجنحة مرقَّطة فتنشرها يداها ،

وتظل تذكر ـ وهي تمسحهن ـ أجنحة سواها
كانت تراها وهي تخفق ملء عينيها تراها
سربٌ من البطّ المهاجر ، يستحثُّ الى الجنوب
أعناقه الجذلى تكاد تزيد من صمت الغروب
صيحاتُه المتقطعات ، وتضمحل على السهوب
بين الضباب ، ويهمس البردي بالرجع الكئيب
ويرج وشوشة السكون
طلقٌ...فيصمت كل شيء. ثم يلغط في جنون.
هي بطّة فلمَ انتفضتِ ؟ وما عساها أن تكون ؟
ولعل صائدها أبوكِ ، فأن يكن فستشبعون
وتخفّ راكضةً حيال النهر كي تلقى أباها
هو خلف ذاك التل يحصد. سوف يغضب إن رآها.
مرَّ النهار ولم تُعنْه وليس من عونٍ سواها
وتظل ترقى التل وهي تكاد تكفر من أساها

يا ذكرياتُ علام جئتِ على العمى وعلى السهاد ؟
لا تمهليهـــا ، فالعذاب بأن تمرِّي في اتئاد
قصّي عليها كيف مات وقد تضرَّج بالدماء
هو والسنابل والمساء ـ
وعيون فلاحين ترتجف المذلّة في كواهـــا

والغمغمات: «رآه يسرق...»، واختلاجات الشفاه
يخزين ميّتها، فتصرخ «يا إلهي، يا إلهي
لو ان غير «الشيخ»!، وانكفأت تشدّ على القتيل
شفتين تنتقمان منه أسى وحباً والتياعا
وكأن وسوسة السنابل والجداول والنخيل
أصداء موتى يهمسون: «رآه يسرق» في الحقول
حيث البيادر تفصد الموتى فتزداد اتساعا!

وتحسُّ بالدم وهو ينزف من مكانٍ في عماها
كالماء من خشب السفينة، والصديد من القبور،
وبأدمعٍ من مقلتيها كالنمال على الصخور
أو مثل حبات الرمال مبعثرات في عماها
يهوين منه الى قرارة قلبها آهاً فآها
ومن الملوم وتلك أقدارٌ كُتبن على الجبين؟
حتمٌ عليها أن تعيش بعرضها، وعلى سواها
من هؤلاء البائسات وشاء رب العالمين
ألا يكون سوى أبيها – بين آلافٍ – أباها
وقضى عليه بأن يجوع
والقمح ينضج في الحقول من الصباح الى المساءْ
وبأن يلصّ فيقتلوه (وتشرئب الى السماء

كالمستغيثة ، وهي تبكي في الظلام بلا دموع)
والله ـ عزّ الله ـ شاء
ان تقذف المدنْ البعيدة والبحـــار الى العراق
آلاف آلاف الجنود ليستبيحوا ، في زقاق
دون الازقـــة أجمعين
ودون آلاف الصبايا ، بنت بائعـــة الرقاق
تلك الشقيّـةَ ، ياسمينْ
(ذاك اسم جارتها الجديد ، فليتها كانت تراها
هل تستحق اسماً كهذا ياسمين وياسمين ؟)
ومن الذي جعل النساءْ
دون الرجال،فلا سبيل الى الرغيف سوى البغاء؟
الله ـ عزّ وجلّ ـ شاء
ألا يكنَّ سوى بغـــايا أو حواضن أو إماء
أو خادمـــاتٍ يستبيح عفافَـهن المترفونْ
أو سائلاتٍ يشتهيهن الرجـــال المحسنون ! !
لو لم تكن أنثى ! ـ وتسمع قهقهاتٍ من بعيد
« عباس » عاد من الترصُّد بالرجال على الوصيد
ولسوف تنزح راحتاه غُسالة الضيف الجديد
لو لم تكن انثى . وتسمع قهقهاتٍ من بعيد .
يا ليت حمّـالاً تزوجها يعود مع المساء

بالخبز في يـــده اليسار وبالمحبة في اليمين
لكن بائسة سواهـــا حدثتها منـــذ حين
عن بيتها وعن ابنتيها ، وهي تشهق بالبكاء
عن زوجها الشرطيّ يحمله الغروب إلى البغايا
كالغيمة السوداء تُنذر بالمجاعـــة والرزايا ،
أزراره المتألِّقات على مغالق كل باب
مُقَـلُ الذئاب الجائعات ترود غاباً بعد غاب
وخطاه مطرقة تسمـر ، في الظلام ، على البغايا
أبوابهنّ إلى الصباح ـ فـــلا اتِّجارٌ بالخطايا
إلا لعاهرةٍ تُجاز بأن تكون من البغايـــا
ويظلّ يخفرهن من شبعٍ ، وينثر في الرياح
أغنيَّـةً تصف السنابل والازاهر والصبايا ،
وتظـــل تنتظر الصباح وساعديه مع الصباح
تصغي ـ وتحتضن ابنتيها في الظلام ـ الى النباح
والى الريـــاح تئنّ كالموتى وتعول كالسبايا
وتُجمع الأشباح من حفر الخرائب والكهوف
ومن المقابر والصحارى بالمئـــات وبالالوف
فتقفّ من فزعٍ وتحجب مقلتيها بالغطاء ،
ويعود والغبش الحزين يرشّ بالطـــل المضاء
سعفَ النخيل يعود من سهرٍ يئنّ ومن عياءِ

ـ كالغيمة اعتصرت قواها في القفار ، وترتجيها
عَبـرَ التلال قُوَىً تجوع ـ لكي ينام الى المساء
عيشٌ أشقُّ من المنيّـة ، وانتظار كالفنـــاء
وطوى يعبّ من الدماء وسُمٌّ أفعى في الدماء
وعيون زانٍ يشتهيها ، كالجحيم يشعّ فيهـــا
سخرٌ وشوق واحتقار ، لاحقتها كالوباء
والمـال يهمس أشتريك وأشتريك فيشتريهـــا

يا ليتها ، إذنِ ، انتهى أجلٌ بها فطوى أساها !
«لو استطيع قتلتُ نفسي..» همسةٌ خنقت صداها
أخرى توسوس: «والجحيم ؟ أتصبرين على لظاها؟
وإذا اكفهرَّ وضاق لحدك ، ثم ضاق ، الى القرارِ
حتى تفجّـر من أصابعك الحليب رشاش نارِ
وتساءل المَلَـكان فيمَ قتلتِ نفسك يا أثيمه ؟
وتخطّـفاك الى السعير تكفّـرين عن الجريمه
أفتصرخين أبي ! فينفض راحتيه من الغبارِ
ويخف نحوك وهو يهتف: قد اتيتك يا سليمه ؟ »
حتى اسْمُها فقدتْـه واستترت بآخر مستعارِ
هي ـ منـــذ ان عميتْ ـ « صبـاحُ »

فأيُّ سخريةٍ مريره !
أين الصباح من الظلام تعيش فيه بلا نهار
وبلا كواكب أو شموعٍ او كوى وبدون نار ؟
أوَ بعد ذلك ترهبين لقاء ربِّك او سعيره ؟
أَلقبر أهون من دجاك دجى وأرفق ، يا ضريره
يا مستباحـــة كالفريسة في عراءِ ، يا أسيره
تتلفَّتين الى الدروب ولا سبيل الى الفرارِ ؟

وتحس بالأسف الكظيم لنفسها لمَ تُستباح ؟
ألهر نام على الاريكة قربها لمَ تستبـــاح ؟
شبعـان اغفى ، وهي جائعة تلمّ من الرياح
اصداء قهقهة السكارى في الأزقة ، والنبـــاح
وتعدّ وقع خطى هنا وهناك ها هو ذا زبون
هو ذا يجيء – وتشرئبّ ، وكاد يُلمس..ثم راح .
وتدقّ في احد المنازل ساعة لمَ تستباح ؟
الوقت آذن بانتهـــاءٍ والزبائن يرحلون
لمَ تستباح وتستباح على الطوى ؟ لمَ تستباح ؟
كالدرب تذرعه القوافل والكلاب الى الصباح ؟
أَلجوع ينخر في حشاها ، والسكارى يرحلون ،
مرّوا عليهـــا في المساء وفي العشية ينسجون

حلماً لها هي والمنون
عصَبَات مهجتها سَداه وكل عوق في العيون ،
والآن عادوا ينقضون –
خيطاً فخيطاً من قرارة قلبها ومن الجراح –
ما ليس بالحلم الذي نسجوه ، ما لا يدركون
شيئاً هو الحلم الذي نسجوا ومـــا لا يعرفون ،
هو منه اكثرُ كالحفيفِ من الخمائل والرياح ،
والشعرِ من وزن وقافية ومعنى ، والصباح –
من شمسه الوضاء . . . وانصرفوا سكارى يضحكون !
فلْيرحلوا . ستعيش ، فهي من السعال ومن عماها
أقوى ، ومن صخب السكارى
فامضِ عنها يا اساهـا !
ستجوع عاماً أو يزيد ، ولا تموت ، ففي حشاها
حقدٌ يؤرِّث من قواها
ستعيش للثأر الرهيب
والداء في دمها وفي فمها ستنفث من رداها
في كل عرق من عروق رجالها شبحاً من الدم واللهيب ،
شبحاً تخطّفَ مقلتيها أمسِ ، من رجلٍ أتاها
ستردُّه هي للرجال ، بأنهم قتلوا أباهـــا
وتلقَّفوهـا يعبثون بها وما رحموا صباها ،

لم يبتغوها للزواج لأنها امرأة فقيره ،
واستدرجوها بالوعود لأنها كانت غريره ،
وتهامس المتقوّلون فثار أبناء العشيره
متعطشين ـ على المفارق والدروب ـ إلى دماها
وكأن موجة حقدها وأساها
كانت تقرّب من بصيرة قلبها صوراً علاها
صدأ المدينة وهي ترقد في القرارة من عماها
كل الرجال ؟ وأهل قريتها ؟ أليسوا طيبين ؟
كانوا جميعاً ـ مثلها هي أو أبيها ـ بائسين ،
هم مثلها ـ وهم الرجال ـ ومثل آلاف البغايا
بالخبز والأطهار يُؤتَجرون ، والجسدُ المهين
هو كل ما يتملّكون ، هم الخطاة بلا خطايا
وهم السكارى بالشرور كهؤلاء العابرين
من السكارى، بالخمور . . كهؤلاء الفاجرين بلا فجور
الشاربين ـ كمن تضاجع نفسها ـ ثمن العشاء
الدافئين خروق باليـة الجوارب في الحذاء ،
يتساومون مع البغايا في العشيّ على الأجور
ليوفّروا ثمن الفطور !
ليس الذين تغصّبوها من سلالة هؤلاء
كانوا كآلهة مقطّبة الجباه من الصخور

تمتصُّ من فزع الضحايا زهوها ومن الدماء
متطلعين الى البرايا كالصواعق من علاء !
وتحسّ ، في دمها ، كآبة كلِّ أمطار الشتاء
من خفْق أقدام السكارى ، كالأسير وراء سور
يصغي الى قرع الطبول يموت في الشفق المضاء
هي والبغايا خلف سورٍ ، والسكارى خلف سور ،
يبحثن هنَّ عن الرجال ، ويبحثون عن النساء ،
دميتْ أصابعهن تحفر والحجارة لا تلين ،
والسور يمضغهن ثم يقيئهن ركام طين
نصباً يخلّد عار آدم واندحار الأنبياء ،
وطلول مقبرةٍ تضم رفات « هابيل » الجنين !
سورٌ كهذا ، حدّثوها عنه في قصص الطفوله
«يأجوج»[1] يغرز فيه ، من حنق ، أظافره الطويله
ويعضّ جندله الأصم ، وكفُّ «مأجوج» الثقيله
تهوي ، كأعنف ما تكون ، على جلامده الضخام ،
والسور باقٍ لا يُثَلُّ وسوف يبقى ألف عام ،

---

(١) قصة يأجوج ومأجوج يعرفها كل من قر القرآن الكريم ولكن الاساطير الشعبية تضيف اليها انهما يلحسان السور بلسانيهما كل يوم حتى يصبح في رقة قشرة البصل ، ويدركهما التعب فيقولان « غداً سنتم العمل » وفي الغد يجدان السور على عهده من القوة والمتانة وهكذا حتى يولد لهما طفل يسميانه « ان شاء الله » فيحطم السور .

لكنّ (إن ـ شاء ـ الإله)
ـ طفلاً كذلك سمّياه ـ
سيهبّ ذات ضحى ويقلع ذلك السور الكبير
ألطفل شاب وسورها هي ما يزال كما رآه
من قبل يأجوج البرايا توأمٌ هو للسعير !
لصَّ الحجارة من منازلَ في السهول وفي الجبال
يتواثب الاطفال في غرفاتها ويكركرون
والأمهات يلدن والآباء للغد يبسمون ،
لم يُبْقِ من حجر عليها ، فهي ريح او خيال
وأدار من حُطَمِ البلاطرحى ،وساطمنالبطون
ما ترتعيه رحاه من لحم الأجنّة والعظام ،
وكشاطئين من النجوم على خليج من ظلام
يتحرّقان ولا لقاء ويخمدان سوى ركام ـ
شق الرجالَ عن النساءِ سلالتين من الانام
تتلاقيان مع الظلام وتَفْصِلان مع الشروق
زانٍ وزانية ، وبائعة وشارٍ ـ والطعام
لا الحب والأحقادلا الأشواق ـ تنبض في العروق !
زان وزانية ؟.. أيمكن ذاك وهي بلا عشاء ؟
لمَ يُعرض الزانون عنها وحدها ؟ لمَ يعرضون
وهي الفقيرة فقر شحّاذ ؟ أما هي كالنساء ؟

أو ما لها جسد كناضجة الثمار ؟ أيعثرون
لو يقطعون الليل بحثاً والنهار – على سواها
في حسنها هي ؟ في غضارة ناهديها او صباها
وبسعرها هي ؟ أيَّ شيء غير هذا يبتغون ؟
أ « زهور » أجمل أو « سعاد »؟بأى شيء جارتاها
تتفوَّقان ؟

وعضَّت اليد وهي تهمس « بالعيون »!
عمياء أنت وحظك المنكود أعمى يا سليمه

وتلوب أغنية قديمة

في نفسها ، وصدى يوشوش «يا سليمه ، سليمه[1]
نامت عيون الناس. آه فمن لقلبي كي يُنيمه ؟»
ويل الرجال الاغبياء ، وويلها هي ، من عماها !
لم أصبحوا يتجنّبون لقاءها ؟ أيضاجعون
عيونها ، فيخلّفوها وحدها إذ يعلمونَ
بأنها عمياء ؟ فيم يكابرون ومقلتاها
ما كانتا فخذين أو ردفين ؟

وهي بهؤلاء
أدرى ، وتعرف أيَّ شيء في البغايا يشتهون

---

(١) أغنية شعبية « سليمه يا سليمه نامت عيون الناس كلبي (قلبي) ش يتيمه ؟ »

بالأمس ، اذ كانت بصيره ،
كان الزبائن بالمئات ولم يكونوا يَقْنعون
بنظرة قمراء تغصبها من الروح الكسيره
لترشَّ أفئدة الرجال بها ، وكانوا يلهثون
في وجهها المأجور ، أبخرةَ الخمور، ويصرخون
كالرعد في ليل الشتاء
عبْر ابتسامتها أو الفخذ التي زلق الرداء
عنها ، أو النهدين نمَّ عليهما قلق الضياء ـ
« ان كنتِ لا تتجردين كما أتيتِ الى الوجود ،
ان كنت لا تتجردين فلا نقود ! »
ولعل غَيْرةَ « ياسمين » وحقدَها سببُ البلاء
فهي التي تضع الطلاء لها وتمسح بالذرور
وجهاً تطفَّأت النواظر فيه
ـ « كيف هو الطلاء ؟
وكيف أبدو ؟ »
ـ « وردةٌ قمر ضياء ! »
زورٌ وكل الخَلْق زور ،
والكون مُينٌ وافتراء
لو تبصر المرآةَ ـ لمحةَ مقلتيها ـ لو تراها
ـ لمح النيازك ـ ثم تغرق من جديد في عماها !

برقٌ ويُطفأ ثم تُحكم فرقها بيدٍ ، وفاها
بيدٍ ، وترسم بالطلاء على الشفـاه لها شفاها
شفتاك عارية وخدُّك ليس خدك يا سليمه ،
ماذا تخلَّف منك فيك سوى الجراحات القديمه ؟
وتضمُّ زهرةَ قلبها العطشى على ذكرى أليمه
تلك المعابِثة اللعوب كأنها أمرأة سواها !
كالجدولين تخوض ماءهما الكواكب ـ مقلتاها ،
والشَّـعر يلهث بالرغائب والطراوة والعبـير
ويمثل أضواء الطريق نعسـن في ليل مطير ،
والثغر بين الجلّـنار وزهرة النهد الصغير
كانت اذا جلست الى المرآة يفتنها صباهـــا
فتظل تعصر نهدها بيدٍ ، وتحملها رؤاهـــا
من مخدع الآثام في المنفى ، الى قصر الأمير
تقتات بالعسل النقي ، وترتدي كسل الحرير
ليت النجوم تخرُّ كالفحم المطفَّـأ ، والسماءَ
ركام قارٍ أو رمـاد ، والعواصف والسيولَ
تدكُّ راسية الجبال ولا تخلِّـف في المدينة من بناء !
أ ــ يعجز الانسان عن أن يستجير من الشقاء
حتى بوهم أو برؤيا ، أن يعيش بلا رجاء
أوَ ليس ذاك هو الجحيم ؟ أليس عدلاً أن يزول ؟

شبع الذُّباب من القمامة في المدينة ، والخيول
سرِّحن من عرباتهن الى الحظائر والحقول ،
والناس ناموا ـ وهي ترتقب الزناة بلا عشاء
هـذا الذي عرضته كالسلع القديمة كالحذاء ،
او كالجرار الباليات ، كأسطوانات الغناء
هذا الذي يأبى عليها مشترٍ أن يشتريـــه
قد كان عرضاً ـ يوم كان ـ ككل أعراض النساء !
كان الفضاء يضيق عن سعة ، و ترتخص الدماء
إن رنَّق النظر الاثيم عليه كان هو الاباء
والعزة القعساء والشرف الرفيع فشاهديه
يا أعين الظلماء ، وامتلأي بغيضك وارجميـــه
بشواظ عارك واحتقارك يا عيون الاغبياء !
ـ « لا تتركوني يا سكارى
للموت جوعاً ، بعد موتي ـ سيتة الاحياء ـ عارا
لا تقلقوا فعماي ليس مهابة لي أو وقارا ،
ما زلت أعرف كيف أُرعش ضحكتي خلل الرداء
ـ إبّان خلعي للرداء ـ و كيف أرقص في ارتخاء
وأمسُّ أغطية السرير وأشرئبُّ الى الوراء
ما زلت أعرف كلّ ذاك ، فجربوني يا سكارى !
من ضاجع العربية السمراء لا يلقى خسارا

كالقمح لونك يا ابنة العرب ، [1]
كالفجر بين عرائش العنب
أو كالفرات ، على ملامحه
دعة الثرى وضراوة الذهب
لا تتركوني فالضحى نسبي
من فاتح ، ومجاهد ، ونبي !
عربية أنا أمتي دمها
خير الدماء كما يقول أبي
في موضع الارجاس من جسدي،وفي الثدْي المذال
تجري دماء الفاتحين فلوثوها ، يا رجـــال
من جنس للرجال فأمس عاث بها الجنود
الزاحفون من البحار كما يفور قطيع دود
يا ليت للموتى عيوناً من هباء في الهواء
ترى شقائي
فيرى أبي دمه الصريح يعبُّ أوشال الدمـــاء
كالوحل في المستنقعات فلا يردَّ الخاطبينَ
أبٌ سواه لأن جـــدة أمِّ ذاك من الأماء

---

(١) ضاع مفهوم القومية عندنا بين الشعوبيين والشوفينيين . يجب ان تكون القومية شعبية ، والشعبية قومية . يجب جعل احفاد محمد وعمر وعلي وابي ذر والخوارج والشيعة الاوائل والمعتزلة يعيشون عيشة تليق بهم كبشر وكورثة لامجاد الامة العربية

ولأن زوجة خـال ذلـك بنت خالة هؤلاء !
أنا يا سكارى لا أرد من الزبائن أجمعـــين
إلا العفاة المفلسين
أنا زهرة المستنقعات ، أعبُّ من وحل وطين
وأشعُّ لونَ ضُحى »
وذكَّرهـا بجعجعة السنين
سُعالها ذَهَـب الشباب ! !
ذهب الشباب ! ! فشيِّعيه مع السنين الأربعين
ومع الرجال العابرين حيـــال بابك هازئين .
وأتى المشيب يلف روحك بالكآبة والضباب ،
فاستقبليه على الرصيف بلا طعام أو ثياب ،
يا ليتكِ المصباحُ يخفق ضوْؤُه القَـلِـقُ الحزين
في ليل مخدعك الطويل، وليت أنك تُحـرِقينَ
دماً يجفُّ فتشترين
سواه كالمصباح والزيت الذي تستأجرين [1]
عشرون عاماً قد مضين، وشبْتِ أنت،وما يزالُ
يذرذر الأضواءَ في مُقَـل الرجال
لو كنت تدّخرين أَجْـر سناه ذاك على السنين

---

(١) تدفع البغايا للسمسارات أجراً ليلياً عن المصابيح في غرفاتهن قدره ربع دينار لكل مصباح !

أثريثِ

هـــا هو ذا يُضيء فأيَّ شيءٍ تملكين ؟
ويح العراق ! أكان عدلاً فيه أنك تدفعينَ
سُهاد مقلتك الضريرة
ثمناً لملء يديك زيتاً مـــن منابعه الغزيرة ؟
كي يثمر المصباحُ بالنور الذي لا تبصرين ؟
عشرون عاماً قد مضين ، وأنت غرثى تأكلين
بنيك من سغَبٍ ، وظمأى تشربينَ
حليب ثديك وهو ينزف من خياشيم الجنين !
وكزارع لَهم البذور
وراح يقتلع الجذور
من جوعه ، وأتى الربيع فما تفتَّحت الزهورُ
ولا تنفَّست السنابل فيه
ليس سوى الصخورِ
سوى الرمال ، سوى الفلاه ـ
خُنْتِ الحياة، بغير علمك،في اكتداحك للحياه!
كم ردّ موْتَك عنكِ موتُ بنيك . إنك تقطعين
حبل الحيـــاة لتنقضيه وتضفري حبلاً سواه ،
حبلاً به تتعلَّقين على الحيـاة تضاجعينَ
ولا ثمار سوى الدموع ، وتأكلينَ ،

وتسهرين ولا عيون ، وتصرخين ولا شفاه ،
وغداً بحبلك تُشنقين !
وغداً..وأمس..وألف أمس ـ كأنما مَسح الزمان
حدودَ ما لك فيه من ماض وآت
ثم دار ، فلا حدود

ما بين ليلك والنهار ، وليس ، ثم ، سوى الوجودِ
سوى الظلام ، ووطء أجساد الزبائن ، والنقودِ ،
ولا زمان ، سوى الأريكة والسرير ، ولا مكان !
لِمَ تحسبين ليالِيَ السأم المسهَّدة الرتيبـــه ؟
ما العمر ؟ما الأيام ؟عندك ، ما الشهور ؟وما السنين ؟
ماتت «رجاء» فلا رجاءَ . ثكلتِ زهرتك الحبيبه !
بالأمس كنت إذا حسبت فعُمرَها هي تحسبين .
ما زال من فمها الصغيرِ
طراوة في حلمتيك ، وكركراتٌ في السرير
كانت عزاءك في المصيبه ،
وربيع قفرتك الجديبه
كانت نقاءك في الفجور ، ونسمةً لك في الهجير ،
وخلاصك الموعود ، والغبشَ الالهيَّ الكبير !
ما كان حكمةَ أن تجيءَ إلى الوجود وأن تموت ؟
ألتشرب اللبن المرنَّق بالخطيئة واللعـــاب

أو شالَ ما تركتْه في ثدييك أشداقُ الذئاب ؟
كان الزُّناة يضاجعونك وهي تصرخ دون قوت .
فكأنها ، وهي البريئه ،
كانت تشاركك العذاب لكي تكفِّر عن خطيئه !
أفترتضين لها مصيرك ؟
فاتركيها للتراب
في ظلمة اللحد الصغير تنام فيه بلا مآب
فالنور والأطفال والبسمات حظ المترفين ،
والجوع والأدواء والتشريد حظ الكادحين
وأنت بنت الكادحين .

مات الضجيج. وأنتِ ، بعْدُ ، على انتظارك للزناه ،
تتنصَّتين ، فتسمعينَ
رنين أقفال الحديد يموت ، في سأم ، صداه :
الباب أُوصِد
ذاك ليل مرَّ
فانتظري سواه .

حفّار القبور

١

ضوء الأصيل يغيم ، كالحلم الكئيب ، على القبور ،
واهٍ ، كما ابتسم اليتامى ، أو كما بهتتْ شُموعْ
في غيهب الذكرى يُهوِّم ظلُّهنَّ على دموعْ
والمدْرجُ النائي تهبّ عليه أسراب الطيورِ ،
كالعاصفات السود ، كالأشباح في بيتٍ قديم
برزت لتُرعب ساكنيه
من غرفةٍ ظلماءَ فيه .
وتثاءَبَ الطَّلَلُ البعيد ـ يُحدّق الليل البهيم
من بابه الأعمى ومن شُباكه الخربِ البليدِ
والجوُّ يملؤه النعيبْ
فتُردّدُ الصحراءُ ، في يأسٍ وإعوالِ رتيب ،
أصداءَه المتلاشياتْ ،
والريح تذْروهنَّ ، في سأَم ، على التل البعيدِ !
وكأنَّ بعض الساحراتْ

مدّتْ أصابعها العِجافَ الشاحباتِ إلى السماءِ
تُومي الى سِرْبٍ من الغربان تلْويه الرياح
في آخر الأُفقِ المضاءِ ـ
حتى تعالى ثم فاض على مراقيـــه الفِساح
فكأنَّ ديدانَ القبور
فارتْ لتلْتهمَ الفضاءَ وتشربَ الضوءَ الغريقْ،
وكأنما أزفَ النشور
فاستيقظَ المونى عُطاشى يلهثون على الطريق !
وتدفَّع السربُ الثقيلْ ،
يطفو ويرسب في الاصيل ،
لِجباً يرنَّق بالظلام على القبور الباليـــاتِ ،
وظِلاله السوداء تزحف ، كالليالي المُوحشاتِ ،
بين الجنادل والصخور
وعلى القبور !
وتنفّس الضوء الضئيلْ
بعد اختناقٍ بالطيوف الراعباتِ وبالجُثامْ ،
ثم ارتخت تلك الظلال السود وانجابَ الظلام :
فانجابَ عن ظلٍ طويلْ
يُلقيه حفارُ القبورْ
كفّانِ جامدتان ، أبرد من جِباه الخاملين ،

وكأنَّ حولهما هواءً كان في بعض اللحودِ
في مُقلة جوفاءَ خاويـــةٍ يهوم في ركودِ
كفّـاً قاسيتان جائعتان كالذئب السجينْ ،
وفمٌ كشقٍّ في جدارِ
مُستوحدٍ بين الصخور الصم من أنقاض دارِ
عند المساء ومقلتان تحدّقان ، بلا بريقْ
وبلا دموعٍ ، في الفضاء ـ
« هوَذا المساء
يدنو ، وأشباح النجوم تكاد تبدو ، والطريق
خالٍ ـ فلا نعشٌ يلوح على مَداه .. ولا عويلْ ـ
إلاّ النعيب
وتنهُّدَ الريح الطويل !
وعلامَ تنعب هذه الغربان ، والكون الرحيب
باقٍ يدور يعجُّ بالأحياء مرضى ، جائعين
بيضَ الشعور كأعظـم الأموات ـ لكن خالدين
لا يهلكون ؟ علامَ تنعب ؟ إنَّ عزرائيلَ ماتْ !
وغداً أموتُ ، غداً أموت ! »
وهزَّ حفارُ القبور
يُمناه في وجه السماء ، وصاحَ « ربٍّ ! أما تثور
فتبيدَ نسلَ العار .. تُحرقَ ، بالرجوم المهلكاتْ ،

Z. KAYA

أحفادَ عادٍ ، باعـةَ الدمِ والخطايا والدموعِ ؟
يا ربّ ما دام الفناءْ
هو غايةُ الأحياء ، فأمر يهلكوا هذا المساء !
سأموتُ من ظمإٍ وجوعِ
إنْ لم يمتْ ـ هذا المساءَ الى غدٍ ـ بعضُ الانامْ ؛
فابعثْ به قبل الظلام !
يا ربّ أسبوعٌ طويل مرَّ كالعام الطويلْ ،
والقبرُ خاوٍ ،يفغر الفم فيانتظارٍ ..في انتظارْ ،
ما زلت أحفره ويطمره الغبارْ ـ
تتثاءب الظلماء فيـــه ويرْشح القـاع البليلْ
مما تعصِّـر أعين الموتى وتنضحـــه الجلود
تلك الجلود الشاحبات وذلك اللحم النثير !
حتى الشفاه يمصُّ من دمها الثرى ـ حتى النهود
تذوي،ويقطر،في ارتخاءٍ من مراضعها،المغيرْ ![1]
واهاً لهاتيك النواهد ، والمآقي ، والشفـــاه !
واهاً لأجساد الحسان ! أيأكل الليل الرهيبْ
والدودُ ، منها ، ما تمناه الهوى ؟ واخيبتاه !
كم جثةٍ بيضـــاء لم تفتضَّها شفتا حبيب ،
أمسى يضاجعها الرغام ؟

---

(١) اللبن الممزوج دماً

هل كان عدْلاً أن أحن الى السراب ، ولا أنالُ
إلاَّ الحنين ـ وألف أنثى تحت أقدامي تنامْ ؟
أفكلَّما اتّقدت رغابٌ في الجوانح شحَّ مالُ ؟
ما زلت أسمع بالحروب ـ فأين أين هي الحروب ؟
أين السنابك والقذائف والضحايا في الدروب
لأظلَّ أدفنها وأدفنها فلا تسع الصحارى
فأدسُّ في قمم التلالِ عظامهنَّ وفي الكهوفِ ؟
فكأن قعقعةَ المنازل في اللظى نَقر الدّفوفِ
أو وقع أقدام العذارى
يرقصن حولي لاعباتٍ بالصنوج وبالسيوف !
نُبِّئتُ عن حربٍ تدور ـ لعلَّ عزرائيل فيها..
في الليل يكدح والنهار ، فلنْ يمر على قرانا
أو بالمدينة وهي توشك أن تضيق بساكنيها !
نبئت أن القاصفاتِ هناك ما تركتْ مكاناً
إلاّ وحلّ به الدمار فأيُّ سوقٍ للقبور !
حتى كأن الأرض من ذهب يُضاحك حافريها ،
حتى كأن معاصر الدم دافقاتٌ بالخمورِ !
أوّاه لو أنيَّ هناك أسدُّ ، باللحم النثيرِ ،
جوعَ القبور وجوعَ نفسي.. في بلادٍ ليس فيها
إلاَّ أراملَ ... أو عذارى غاب عنهنَّ الرجالُ

وافتضَّهنَّ الفاتحونَ الى الذماء - كما يُقال !
ما زلت أسمع بالحروب فما لأعين موقديها
لا تستقرُّ على قرانا ؟ ليت عيني تلتقيها
وتخضُّهن الى القرار - وكالنيازكِ والرُّعودِ
تهوي بهنَّ على النخيل، على الرجال ؛ على المهودِ !
حتى تحدِّق أعين الموتى ، كآلاف اللآلي ،
من كل شبرٍ في المدينةِ ثم تُنظم كالعقودِ
في هذه الارض الخراب - فيا لأعينها ويا لي !
رباه ! إني أقشعر أكاد أسمع في الخيالِ
أغنيَّةً تصف العيونْ
تنشال من مقهى، فأنصت في الزحام، وينصتون !
وكأنَّ ما بيني وبين الآخرين من الهواء
ثديٌ سخيٌّ بالحليب وبالمحبة والأخاء
يا رب أسبوع يمرُّ ولست أسمع من غناءِ
إلاَّ النعيبْ
وتنهُّد الريح الرتيب !
واخيبتاه ! ألن أعيش بغير موت الآخرين ؟
والطيِّبات من الرغيف ، الى النساء، الى البنين
هي منّة الموتى عليَّ فكيف أفق بالأنامِ ؟
فلتمطرنَّهمُ القذائف بالحديد وبالضرام ،

وبما تشاء من انتقام
من حمَّياتٍ أو جذام !
نذرٌ عليَّ لئنْ تشبَّ لازرعنَّ من الورودِ
ألفاً تروَّى بالدماء وسوف أرصف بالنقودِ
هذا المزار...وسوف أركض في الهجير بلا حذاء
وأعدَّ أحذيةَ الجنود
وأخطُّ ، في وحل الرصيف وقد تلطخ بالدماءِ ،
أعدادهنَّ لأستبيح عدادهنَّ من النهودِ !
وسأدفن الطفلَ الرميَّ وأطرح الأُمَّ الحزينه
بين الصخور على ثراه
ولسوف أغرز بين ثدييهـــا أصابعي اللعينه
ويكاد يخنقها لهاثي وهي تسمع ، في لظاه ،
قلبي ووسومةَ النقودِ نقودها ! واخجلتاه !
أنا لست أحقر من سواي.وإن قسوت فليشفيعُ
أني كوحشٍ في الفلاء
لم أقرأ الكتبَ الضخام ـ وشافعي ظمأ وجوع.
أو ما ترى المتحضرين
المزدهين من الحديد بما يطير وما يذيـــع ؟
مهما ادَّنأت فلن أسفَّ كما أسفُّوا لي شفيع
أني نويت . ويفعلون ؛ وإنَّ من يئد البنين

والأمهات ويستحـــلّ دم الشيوخ العاجزين
لأحطُّ من زانٍ بما انتهك الغزاة وما استباحوا !
والقاتلون هم الجنـــاة وليس حفار القبور ؛
وهم الذين يلوِّنون لي البغـــايا بالخمور ،
وهم المجاعة ، والحرائق ، والمذابح ، والنواحُ ،
وهم الذين سيتركون أبي وعمته الضريره
بين الخرائب ينبشان ركامهن عن العظـام ،
أو يفحصان عن الجذور ، ويلهثان من الاوام
والصخر كالمقلِ الضريره
وسيوثقون بشعر أختي قبضتيَّ وكاظلامِ
وكخضّـة الحمّـى ، تسمِّـرها على دمها صدورُ
تعلو وتهبط باللهـاث ، كأنهن رحى تدور
يا مجرمون ، الى الوراء ! فسوف تنتفض القبورُ
وتقيءُ موتاها ويا موتى ، على اسم الله ثوروا !
رباه ، عفوك ان « قابيل » المكبَّـلَ بالحديدْ
في نفسي الظلماء هبَّ وقرَّ يعصرهُ الملالْ !
فالليل جاءَ ، وما أزال
مستوحداً أرعى القبور وأنفضُ الدربَ البعيد
وكأنَّ .. يا بشرى ! كأنّ هناك في أقصى الجنوب
خطّـاً كأذيال الظلام ولمعةً كدمِ الغروب !

لكأنه ضيفٌ جديد ! »

وبدا الجنازُ ، وراح يشهق وهو يدنو في ارتخاءْ
ألأوجه المتحجِّرات يضيئها الشفق الكئيب ،
والغمغمات الخافتات من انفعـــالٍ أو رياءْ ،
والنعشُ يحجبه غطاءْ
ألوانـه المترنِّحات كأنمـــا اعتصر المغيبُ
فيها قواهُ ، وذاب فيها كوكب واهي الضياءْ
حتى اذا انهال الترابُ وصُفِّحَ القبر الجديدْ ،
وتراعشَ الالقُ الضئيل ، على الظهور المتعباتِ
حتى اضمحلَّ ، وغيَّبتها ظلمةُ الافق البعيدْ ــ
كانت مصابيح السماء تذرُّ ضوءاً كالضبابْ
بين القبور الموحشاتِ
وعلى الخرائب والرمال وكان حفار القبورِ
متعثر الخطوات يأخذ دربه تحت الظلامْ
يرعى مصابيح المدينة وهي تخفق في اكتئابْ ،
ويظل يحـــلم بالنساء العاريات وبالخمورِ ،
وتحسستْ يدُه النقودَ وهيَّأ الفم لابتسامْ ــ
حتى تلاشى في الظلام !

٢

ألنور ينضح من نوافذِ حانةٍ عبر الطريقِ ،
وتكاد رائحةُ الخمورْ
تلقي ، على الضوء المشبَّعِ بالدخان وبالفتور ،
ظلاً كألوانٍ حيارى واهياتٍ من حريقِ
ناءٍ... تهوم ،في الدجى الضافي، على وجهٍ حزينْ.
وتلوح أشباحٌ عجافُ
خلف الزجاج تهيم في الضوء السرابيِّ الغريقِ.
ويشدُّ حفار القبور على الزجاجة باليمين ،
وكمن يحاذر أو يخافُ ـ
يرنو إلى الدرب المنقَّط بالمصابيح الضئالِ ،
وتحركتْ شفتاه في بطءٍ وغمغم في انخذالِ ـ
«أظننتَ أنك سوف تقتحم المدينةَ كالغزاه
كالفاتحين وتشتريها بالذي ملكت يداك
باقلَّ من ثمن الطلاء القرمزيّ على شفاه
أو في أظافر لاحقتها ، ذات يومٍ ، مقلتاك ؟
سأعودُ ، لا نهدٌ تعصِّره يدي حتى الذهولْ ،
حتى التأوُّه ،والأنين،وصرخةِ الدمِ في العروق
والسكرةِ العمياءِ..والخدر المضعضع.. والأفول!

والاذرع المتفتِّراتُ - يلوِّن الضوء الخفوقُ
هزاتها المستسلمات ، وينفـــحُ الدم والعبيرْ
ظلٌّ لهنَّ على السرير
الاذرع المتفتراتُ ، وزهـــرتان على الوسادْ
نسجتهما كفٌّ مخضَّبة الاظافرِ - زهرتانِ
تتفتحان على الوسادة كالشفـــاه ، وتهمسانِ
نغماً يذوب الى رقادْ
ونعومةُ الكتفين، والشعرُ المعطَّرُ ،والشحوبُ ،
وتألقُ الجيد الشهيِّ ، ولفحةُ النفس البهيرِ
والنور منفلتاً من الأهداب تثقله الطيوبُ ،
قلقاً كمصباح السفينةِ راوحته صباً لعوبُ ،
وتخافقُ الأظلال في دعةٍ ، ووسوسةُ الحريرِ
والحلمتان أشدُّ فوقهما بصدري في اشتهاءْ -
حتى أحسهما بأضلاعي ، وأعتصر الدمـــاء
باللحمِ والدمِ والحنايا ، منهما - لا باليدينْ ،
حتى تغيبا فيه - في صدري - الى غير انتهاءْ ،
حتى تمصّا من دماي وتلفظاني ، في ارتخاء ،
فوق السرير

وتشرئبَّا

ثمَّ نثوي جثتينْ ! »

٣

دربٌ كأفواه اللحودْ ـ
لولا التماعات الكواكب ، وانعكاس من ضياءِ
تلقيه نافذةٌ ـ ووقع خطى تهاوى في عيـاءِ
يُصدي له الليلُ العميق ، وحارسٌ تعبٌ يعودْ
وسنان يحلم بالفراش وزوجِـه تُذكي السراجْ
وتؤجِّـج التنّـور صامتةً وأخيلةُ اللهيب
تُضفي عليها ما تشاءُ من اكتئابٍ وابتهاج
ثمَّ اضمحلَّ الحارس المكدود ، والنغم الرتيبْ
ـوقع الخطى المتلاشيات.. كأنه الهمس المريبـ
ما زال يخفق من بعيد
وتململت قَدَمان ، وارتفعت يدٌ بعد انتظارِ
وهوت على الباب العتيقِ ،فأرسل الخشبُ البليدْ
صوتاً كأيقاع المعاولِ حين إدبارِ النهـــار
بين القبور الموحشات.وأطبق الصمتُ الثقيلْ ،
وأطلَّ من إحدى النوافذ،وهي تُفتح في ارتيابْ ،
وجهٌ حزين ثم غاب !
وتحرَّك البابُ المضَـعْـضَـع وهو يُجهش بالعويلْ.
وتقول أنثى في اكتئاب

« ضيفٌ جديدٌ ! » ثم تفرك مقلتيها في فتور
ويظلُّ يزحف كالكُسوف ـ يحجّب الألقَ الضئيلْ
عن وجهها ـ ظِلٌّ يقيّدها بجفّار القبور !

٤

في زهوة الشَّفَقِ الملوَّنِ حيثُ يحترق النهارُ ـ
في عَودة الرُّعيان أشباحاً يظللها الغُبار ـ
في ساعة الشوْق الكئيبِ الى شواطىءَ كالضبابِ ،
والى أكُفٍّ مُخلِصاتْ ،
والى أغان مُبهماتٍ هائماتٍ في شِعابِ
أنأى مِن الأصْداءِ تغشاها نُجومٌ ساهماتْ ـ
في ساعة الشَّفَق الملوَّن كان إنسانٌ يثور
بين الجنادل والقبورْ ،
نَفْسٌ معذَّبة تثور
بين الجنادل والقبور
«أأظلُّ أحلم بالنُّعوش ، وأنفضُ الدرب البعيد
بالنظرة الشَّزْراء ، واليأسُ المظلَّلُ بالرجاءْ
يطفو ويرسب ، والسماء كأنها صنمٌ بليدْ
لا مأملٌ في مقلتيه .. ولا شواظَ ولا رثاءْ ؟
لو أنها انفجرتْ تُقهقِهُ بالرعود القاصفات !
لو أنها انكمشتْ وصاحت كالذئاب العاوياتِ

«فاتَ الأوانُ ،فخطَّ لحدَك واثوِ فيه الى النشورِ!
لو أنها انطبقت عليَّ كأنها فمُ أفعوانْ !
لو أنها اعتصرتْ قِواي !
ومات َ ظلُّ الأرجوانْ
في آخر الأُفق البعيد ، ولألأَت قطراتُ نورِ
مما تُبعثره المدينةُ وهي تبسمُ في فتور
وكأنّما رضعت مصابيح المدينةِ مُقلتاه
فَسرتْ لهيباً في دماهُ وألغمتْها بالرغابِ ،
وكأنهُنَّ ، على المدى المقرور ، آلافُ الشّفاه
تدعوه ظمأى،لاهثاتٍ.. مثل أحداقِ الذّئاب:ـ
«ما زلتِ تحترقين من فَرحٍ ،وأحترقُ انتظاراً،
صبّي سناكِ على الترابِ
وعلى الكؤوس الفارغات : و بعْثريه على كتابِ
أو بين أغطية الموائد وهي تنتظر النهارا
ظلّتْ تُعابثها شِفاه الريح،وانصرفَ السكارى!
راحوا إليها مسرعين ـ الى التي ارتعشتْ قِواها
بين التوجعِ والذهول ، على يديَّ وفي دمائي
ليلٌ وأعقبهُ الصباح ونبّأتني مقلتاها
أنّا انتهينا
يا سماءُ،ويا قبور ..أما أراها ؟

لا بُـدَّ من هذا ! » ـ وصوب مقلتيه الى السماءِ
حنقاً يزمجر ، ثم أطرق وهو يحـــلم باللقاء
بابٌ تُفتّـحَ في الظلام . . وضحكةٌ . . وشذىً ثقيلْ . .
ويدانٍ تجتذبان أغطيةَ السرير وتُـرخيـانِ
إحدى الستائر
ثم تنطفئان في الضَّـوءْ الضئيلْ !
وتغيم أخيلةٌ وتُـجلى ـ ثم تبرز حُلمتانِ
ويُطلّ وجهٌ شاحب القسمات مُختلج الشفاه .
وتغيم أخيلة وتُجلى ـ ثم تُفتح مقلتـــاه
فيرى القبور ،
ويرى المصابيح البعيدةَ كالمجـامر في اتّـقادِ ،
ويرى الطريق الى القبور
يكتظُّ بالأشباح زاحفةً إليـــه على اتّـئادٍ ،
فيصيح من فرحٍ « سألقاها ، فإن على الطريق
نعشاً وإنْ حفَّ النساءُ به وأملقَ حاملوه !
إني سألقاها ! » ـ وينهض وهو يرفع باليمين
فانوسهُ الصدىء العتيقْ
يلقي سناه على الوجوه
وعلى الدثار القرمزيّ وفي عيون القـادمين
لو أنه اخترقَ الدثارَ بمقلتيه وبالضيـــاء ـ

لو حدّثَ التابوتُ عمَّنْ فيه .. أو رفعتْ يداها
« أو هبّةُ للزعزع النكباءِ حاشيةَ الغطاءِ
تحت النجومِ الساهمات
لكاد ينكر من رآها !
ماتتْ كمنْ ماتوا ، ووارها كما وارى سواها
واسترجعتْ كفّاه من يدها المحطمةِ الدفينهْ
ما كان أعطاها ــ وإنْ حملت يدُ امرأةٍ سواها
تلك النقودَ بل البقايا من نفايات المدينهْ ــ

وتظل أنوار المدينة وهي تلمعُ من بعيدِ ،
ويظلُّ حفار القبور
يناى عن القبر الجديدِ
متعثرَ الخطوات يحلم باللقاءِ ، وبالخمور !

الأسلحة والأطفال

١

عصافيرُ ؟ أم صبيـــة تمرحُ
عليهـــا سناً من غدٍ يلمح ؟
وأقدامها العاريه
محـــارٌ يُصلصل في ساقيه
لأذيالهم زفّـــةُ الشمأَلِ
تمرُّ عبر حقلٍ من السنبلِ ،
وهسهسةُ الخبز في يوم عيدْ ،
وغمغمةُ الأمّ باسم الوليـــد
تناغيـــه في يومه الاولِ

كأنّـيَ أسمع خفق القـــلوعْ
وتصخـاب بحْارةِ السندبادْ
رأى كنزه الضخْم بين الضلوع

فما اختار الآه كنزاً وعادِ !

صدىً عابرٌ من وراء العصورِ
مِن الكهفِ ، والغابِ ، والمعبدِ ،
سرى دافئاً من عروق الصخور
وإزميل نحّاتها المُجْهَدِ ،
يغنّي بأشواقه العاتبه
إلينا إلى القمّة العاليه
إلى أن يفلّ الردى بالحياه
وتلقاه أجيالها الآتيه
على صخرة حمّلتْها يداه
تحاياه في بسمة في الشفاه
وفي أعين حجرتْ مقلتاه
عليها دموعها الجاريه

صدىً رجعته الاكُفُّ الصغارْ
يصفّقن في الشارع المشرقِ
كخفق الفراشات مرّ النهار
عليها بفانوسه الأزرق

وكم من أبٍ آيبٍ في المساء

الى الدار من سعيه الباكرِ ،
وقد زمّ من ناظريه العناء
وغشّاهما بالدم الخاثر ؛
تلقّاه ، في الباب ، طفلٌ شرود
يكركر بالضحكة الصافيه ،
فتنهلّ سمحاء ملء الوجود ،
وتزرع آفاقه الداجيه
نجوماً ، وتنسيه عبء القيود

وهُمْ في ليالي الشتاء الطوال
ربيعٌ من الدفء والعافيه ،
تلمّ العجائزُ فيه الورود
ويلمحن عهد الصِّبا ثانيه ،
ويرقصن بين التلال
يرجّحن أرجوحة في الخيال :
بعذراءَ في ليلةٍ مقمره
وفي ظلّ تفاحة مُزهره
تنام العصافير فيها
وهم في الصباح
خطىً خافقاتٌ على السلَّمِ ،

وأيدٍ على أوْجُه النوَّم
يدغدْغنها في مزاح !
وأغنيةٌ من أغاني الطريق
بلحن سوى لحنها الأول
وشاوٍ من الصوت مستعجل
وهم زِفْقةُ الأمّ اذ تستفيق
واذ تُشعل النارَ في الموقد
كخيطٍ ترى فيه بدء الغد !

٢

عصافيرُ ؟ أم صبيةٌ تمرحُ ؟
أم الماء من صخرة ينضح
فيخضلّ عشبٌ وتندى زهورْ ؟
زهورٌ ونور
وقبّرةٌ تصدح
وتفاحةٌ مزهره
لخفق العصافير فيها
صدى قُبلة الام تلقى بنيها
ـ « دعيني فما تلك بالقبّره !
دعيني أقلْ إنه البلبلُ ...

وإن الذي لاح ليس الصباح »[1]
أتلك السفين التي تُعوِلُ
على مرفإ ناوحته الرياح ؟
تُلوِّح منها أكفُّ الجنود
لألفٍ كـ«جولييت»فوق الرصيف:
« وداعاً وداعَ الذي لا يعود ! »
وأمٍّ كما استوحشت في الخريف
وراء الدجى ، دوحة عاريه
وفرّت عصافيرها الشاديه !

عصافير ؟ أم صبية تمرح ؟
أم الماء من صخرة ينضح
ولكنْ على جثّةٍ داميه ؟
وقبّرةٍ تصدحُ
ولكن على خِرْبةٍ باليه ؟
عصافير ؟ !
بل صبية تمرح
وأعمارها في يد الطاغيه ؛
وألحانها الحلوة الصافيه

(١) شكسبير : روميو وجوليت .

تغلغـــل فيهـــا نـداء بعيـد
« حديد عتـ ... سيق
رصا ... ص
حديـ .... ـد »
وكالظـلّ من باشقٍ في الفضـاء
ـ اذا اجتـاح ، كالمدية الماضيه ،
عصافيـر تشدو على رابيـه ـ
ترامى الى الصبيـــة الأبرياء
نداءٌ تنشّقتُ فيه الدماء
« حـــديد عتيق
حـــديد عتيق !
رصا ... ص » وحتى كأن الهواء
رصاص ، وحتى كأن الطريـق
حديد عتيق
وينقض ، كالمعول الحـــافر ،
صدىً راعب من خطى التاجر
له الويـل ماذا يريـد ؟
« حـديد عتيق
رصا ... ص
حـــديد »
لـك الويــل من تاجرٍ أشأم
ومن خائضٍ في مسيـل الـدم

ومن جاهلٍ أن ما يشتريه
ـ لدرء الطوى والردى عن بنيه ـ
قبورٌ يواروب فيها بنيه !
« حديد عتيـــق
رصا . . . ص
حديد . . »
حديدٌ عتيقٌ لموتٍ جديد !

٣

« جـديـ . . . . . ـد »
لمن كل هذا الجديد !
لقيدٍ سيلوى على معصمٍ ،
ونصلٍ على حلمةٍ أو وريد ،
وقفلٍ على الباب دون العبيد ،
وناعورةٍ لاغتراف الدم
« رصا . . . ص »
لمن كل هذا الرصاص ؟
لأطفال كوريّة البائسين ،
وعمّال مرسيليا الجائعين ،
وأبناء بغداد والآخرين
اذا ما أرادوا الخلاص

حديد

رصاص

رصاص

رصاص !

(حديـــد ...)

ــ وأصغي الى التاجر ،

وأصغي الى الصبية الضاحكين ؛

وكالنصل قبل انتباه الطعين ،

وكالبرق ــ ينفض في خـاطري

ستار ؛ وكالجرح اذ يــنزف ــ

أرى الفوّهـات الــتي تقصف

ــ تسدّ المدى ــ واللظى ،والدّماء .

وينهلّ كالغيث ، ملء الفضاء ،

رصاص ونار : ووجـــهُ السماء

عبوسٌ لما اصطكّ فيه الحديد .

حديد ونار ، حديـــد ونار ــ

وثَمّ ارتطام ، وثَمّ انفجار ،

ورعد قريب ، ورعد بعيـــد

وأشلاء قتلى ، وأنقـــاض دار !

حديد عتيق لغزو جديـــد

حديد لينكّ هذا الجدار
بما خطّ في جانبيه الصغـــار
وما استودعوا من أمان كبار
« ســـلام »

كأن السنا في الحروف
تخطّـى اليهـا ظلامَ الكهوف
بآمـال انسانهـا الأوّل
وما اختطّ من صورة في الحجار
تحدّي بها الموت فهي انتصار
وتَـوْقٌ الى العـــالم الأفضل ؟
« حديـــد

رصا ... ص

حديد عتيق

رصاصٌ ... » ليخلوَ هذا الطريق
من الضحكة الثرّة الصافيـــه
وخفق الخطى والهتاف الطروب ؛
فمن يملأ الدار عنـــد الغروب
بدفء الضحى واخضلال السهوب؟
لظى الحقد في مقلة الطاغيـــه
ورمضاءُ أنفاسه الباقيـــه
يطوفان بالدار عنـــد الغروب

وأطلالِها الباليه !

« حديد عتيق

نحـــاس عتيق »

وأصداء صفّارة للحريق !

٤

« حديـــد ، حديـــد »

وأمٌّ تبيـع السرير العتيـق ،

تبيـع الحديـــد الذي أمس كان

مِهاداً عليـه التقى عاشقان

وشدّ نـــداءُ الحيـاة العميق

ذراعاً بأخرى ، فـــما تخفقان !

فيا حسرتا حين يمسي غـــداً

شظـــايا تدوّي وبعض المُدى

تُنَحّى بهـا عن ذراع ذراع

وينهدّ مهدٌ ، ويخبو شعـــاع !

أمن حيثُ كان التقـــاء الشفاه

على الحُبِّ ينسجن خيط الحياه

يحوك الردى غزلـــه الأسودا

دماً أو دخاناً ؟ يحوك الردى
شِباكاً من النـــار حول البيوت
على صبيةٍ او صبـــايا تموت ؟
ويرتـدّ حتى حديـــد السرير
جناحاً عليه المنايا تغير ،
وحتى الذي في عيون الدُّمى
من المعـدن الزئبقي الحسير
رصاصاً أبحَّ الصدى مُرْزِمـا

٥

«حديد ، عتيق ، حديد ، حديد »
وأقدامها العاريه
محارٌ يصلصل في ساقيه ؛
ويعتـاد بالي – كرعدٍ بعيد –
ضجيجُ الخطى وانهيار الصخور
وخفق الفوانيس في المنجمِ ؛
وما نضّ من عاريات الظهور
وما انسحَّ في سعلة من دم !
وملءُ السنا من غبار الحديد ،
نواقيسُ فيها يرنّ السكون ...

وأجراسُ مركبة من بعيد
يخفّ لها صبية يلعبون :
نواقيس في الفجر ، واليومُ عيد ،
وفي الماء أظلال جسرٍ جديد ،
وهمس النواعير ، والزارعون ،
وفي كل حقلٍ ـ كنبض الحياة ـ
تهزّ المحاريثُ قلبَ الثرى
وتَبني القرى
قرىً طينها من رميم الطغاه
وتخضلّ حتى الصخور الضّنينه ،
ويُثمر حتى سراب الفلاه
مدينـــه
فأخرى ، فأخرى ، الى منتهاه !

« حديـــد حديـــد ! »
وأقدامها العاريه ،
وخفق الفوانيس في المنجم ،
وأعماقه الرطبة الداجيه
كظلّ الردى ـ فاغرات الفم ،
كبئرٍ من الظلمة الطاميه

ستمتاح منهـــا ألوفُ القبور ،
ويهوي – مع الزعزع العاتيه –
عمى من دجاها على كل نور
على النور من باب كوخٍ مضاء
ومن كوّة في خيام الرعاء
ومن شُرفةٍ ظلّها الياسمين
– « دعيني أقلْ انه البلبلُ
وان الذي لاح ليس الصباح » –
على النور من موقد السامرين
ومن مندرجٍ بالسنا يُغسل ؛
على كلّ نور ، تذرّ الرياح
ظلالَ الطواغيت في المنجم
كناعورةٍ لاغتراف الدم
تذّر الرياح ، الرياح ، الرياح
أراجيحَ في الملعب المظلم
وخَفْقَ الفوانيس والأنجم
وخفق الخطى والأكفّ الصغار
وخفق الفراشات مر النهار
عليها بفانوسه المعتم
فمن يملأ الدارَ عند الغروب

بدفء الضحى واخضلال السهوب؟
رصاص ، حديد ، رصاص ، حديد
وآهاتُ ثكلى ، وطفلٌ شريد !

ومن يفهم الأرض أن الصغار
يضيقون بالحفرة البارده ؟ [1]
اذا استنزلوها وشطّ المزار
فمن يتبع الغمة الشارده ؟
ويلهو بلقط المحار ؟
ويعدو على ضفّة الجدولِ ؟
ويسطو على العش والبلبل ؟
ومن يتهجّى – طوال النهار –
ومن يلثغ الراء ، في المكتبِ ؟
ومن يرتمي فوق صدر الأب
اذا عاد من كدّه المتعِبِ ؟
ومن بؤنس الأمَّ في كل دار ؟
أسى موجعٌ أن يموت الصغار
أسىً ذقتُ منه الدموع ، الدموع

(١) ايديث سيتويل في قصيدتها أم ترثي طفلها : « ان الارض عجوز شاخت حتى لا تعلم بأن الصغار حركون كظلال الربيع . »

أجاجاً ومثل اللظى في الفمِ ،
وأحسستُ فيه اشتعـال الدم
بعينيَّ ، من نازفات الضلوع
عويل من القرية النائية
وشيخ ينادي فتاهُ الغريق
بهذا الطريق وذاك الطريق ،
ويسعى الى الضفّة الخالية
يسائل عنه المياه
ويصرخ بالنهر .. يدعو فتاه ؛
ومصباحه الشاحبِ
يغنّي سدىً زيتـه الناضب
« محال تراه ! »
ويحنو على الصفحـة القاتمه
يحدّق في لهفة عارمه
فما صادفت مقلتاه
سوى وجهه المكفهرِّ الحزين
ترجرجه رعشة في المياه
تغمغم « لا ، لن ترآه ! »

٦

« جديد عتيق » ورعب جديد !

لأن الطّـغاه
يريدون ألاّ تتم الحيـاه
مداها وألاّ يحسّ العبيـد
بأنّ الرغيف الذي يأكلون
أمرٌّ من العلقمِ
وأنّ الشراب الذى يشربون
أجاجٌ بطعمِ الدم
وأنّ الحياة الحياة انعتاق ،
وأن ينكروا ما تراه العيون
فلا بيدرٌ في سهول العراق ،
ولا صبية في الضحى يلعبون ،
ولا همس طاحونة من بعيد ،
ولا يطرق البابَ ساعي البريد
ببُشرى ، ولا منزلُ
يضيء الدجى منه نورٌ وحيد
سخيّ كا استضحك الجدول ،
ولا هدهدات ، ولا جلجل
يرنّ بساق الوليد
وبين الربى في رقاب الجداء ،

ولا وسوس الشاي فوق الصّلاء ،
ولا قصّة في ليالي الشتاء
لأن الطواغيت لا يسمعون
صداح العصافير في المغرب
ـ كما صلصل الفضّة القامرون ـ
ولا زقّة السنبل المذهب
لأنّ الطواغيت لا يحلمون
بغير المبيعات والأسهم
وان الطواغيت لا يسمعون
سوى رنّة الفلس والدرهم
لان الطواغيت لا يبصرون
على الشاطىء الأسْيويّ البعيد
سوى أنّ سوقاً يباع الحديد
وتُستهلك الريح والنار فيها
تدرّ العطايا على فاتحيها

٧

بأقدام أطفالنا العاريه
يميناً ، وبالخبز والعافيه
اذا لم نعفّرْ جباه الطغاه

على هذه الأرجل الحافيه
وأن لم تذوّب رصاص الغزاه
حروفاً هي الانجم الهاديه
(فمنهنّ في كل دارٍ كتـاب
ينادي قفي واصدأي يا حراب)
وان لم نضوِّ القرى الداجيه
ولم نخرسِ الفوّهات الغضاب
ونُجلِ المغيرين عن آسيه
فلا ذكرتنا بغير السّباب
أو اللّعن أجيالُنا الآتيه !

سلام على العالم الارحبِ ،
على الحقل ، والدار ، والمكتب ،
على معملٍ للدُّمى والنسيج ،
على العشِّ والطائر الازغب ،
على التوت وسنانَ فيه الاريج
ووقع المجاديف في المغرب ،
على زهرةٍ في وساد العروس ،
على صبية في انتظار الاب ،
على شاعر تستحمّ الشموس

بعينيه ، يصغي الى جندب ؛
سلام على العالم الارحب
سلامَ على (الكنج) فاض النعيم
ورنّـت أغاريد ، في ضفّـتيه
قرىً من سناً عاصرات عليه
عناقيد من ضوئهنّ العظيم
سلام على الصين والحاصدين
وصيّـاد أسماكها الاسمرِ ،
وما أنبتت من دم الثائرين
وما افترّ في البيرق الاحمر ؛
على صبيةٍ في قراها البعاد
وفي ظلّ تفّـاحها المزهر
وما جرّرت في ليالي الحصاد
ثيابُ العذارى على البيدر
سلام لأن الربيـع
يمرّ بوديانـنا كل عام ،
وما زال قوس الغمام
ولولا الذي كدّسوا من نضار
به يستضيئون دون النهار
تجوع الملايين عن جانبيه

وينحطّ ، في كل يوم ، عليه
دمٌ من عروق الورى أو نُثار
كذرّ الغبار ـ
لما هزّت الامّهات المهود
على هوة من ظلام اللحود ،
ولم تذرف الدمع عبر البحار
وعبر الصحارى ، نساءُ الجنود ،
ولم يرفع الزراع الاشيب
الى مقلتيه ، اليد الراجفه
يحدّق في عتمة العاصفه
ويصغي وفي روعه « القاصفه » ،
ولم يبكِ صرعى بنيه الابُ
جزوعاً بأن يثكل الآخرين ،
ولا شرّدت نومةَ العاشقين
كوابيسُ من أعين الهالكين
وإرنان صفّارة تنعب
«وغى...»، فاستفاقوا ولا كوكب
ولا لمعة من سراج تبين
سوى قعقعات السلاح
وعصف الرياح ،

ولا ساءل الأُم طفل غرير
« ألا بلدة ليس فيها سماء ؟ »
فلا قاذفات المنايا تغير
ولا من شظايا تسد الفضاء ـ
ولا اختضّ في الصرصر اللاجئون
ولألاء « يافا » تراه العيون
وقد حال من دونه الغاصبون
بما أشرعوا من عطاش الحراب
وما استأجروا من شهود كذاب
وما صفّحوا بالردى من حصون .
سلامٌ على العالم الارحب
على مشرق منه أو مغرب
سلامٌ لآفون[1] روّى عروق
شكسبير والزهر والداليه
أفقْ شاعر النور ، ان الشروق
تهدده غيمة داجيه ،
سعى «مكبثٌ»[1] تحتها في احتراس
لقتل النعاس

(١) آفون نهر في بريطانيا ، يمر بقرية شكسبير

(١) مكبث بطل احدى مسرحيات شكسبير وقد قتل دنكان وهو نائم في ضيافته مطمئن اليه : « لقد قتل مكبث النعاس، النعاس البرىء» شكسبير.

لقتـل النعـاس البريء
سلام لباريس « روبسبيير »[1]
و « إلوار » والغـابةِ الحـالمه
وعشّـاقها في المساء الاخير
تذرّيهـمُ قـوّةٌ ظـالمه
كدوّامة من رياح السعير
على « تونس » من لظاها ظلال
وحول « الرباط »[2] المدمّى هدير
وفي جيرة الصين حلّ انخذال
بقطعانهـا الفظّـة الضارية
لك المجد يا آسيه !
سلام لفينيس[3] والكرنفال
وأضوائه الثرّة الزاهيه ،
وهمس المحبين بين الظلال
وفي دفء قمرائه الضاحية

٨

عصافير ؟ أم صبية تمرح ؟

---

(١) روبسبيير : بطل الثورة الفرنسية والوار الشاعر الفرنسي الحر العظيم

(٢) الرباط مدينة في مراكش .

(٣) فينيس : مدينة البندقية بايطاليا

أم الماء من صخرة ينضح ؟
وأقدامها العاريه
مصابيح ملء الدجى تلمح ،
هتكنا بها مكمن الطاغيه
وظلماء أوجاره الباليه
علينا لها انها الباقيه
وأنّ الدواليب في كل عيد
سترقى بها الريح ... جذلى،تدور !
ونرقى بها من ظلام العصور
الى عالم كل ما فيه نور

(رصاص، رصاص ، رصاص،حديد حديد عتيق)

لكونٍ جديد !

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٥
غريبٌ على الخليج	٩
مَرحى غيلان	١٥
أغنية في شهر آب	١٩
غارسيا لوركا	٢٣
تعتيم	٢٥
المخبر	٢٧
عرسٌ في القرية	٣١
مرثية الآلهة	٣٥
مِنْ رؤيا فوكاي	٣٩
قافلة الضياع	٥٠
يوم الطغاةِ الأخير	٥٩
إلى جميلة بوحَيْرِد	٦٢
رسالة مِنْ مقبرة	٧١
في المغرب العربي	٧٥
مرثيَة جيكور	٨٢
تموز جيكور	٨٨
جيكور والمدينة	٩٣

القصيدة	الصفحة
العودة لجيكور	٩٨
رؤيا في عام ١٩٥٦	١٠٥
قارىء الدّم	١١٦
ثعلب الموت	١٢٠
المبغى	١٢٢
النهرُ والموت	١٢٥
المسيحُ بعدَ الصّلبْ	١٢٨
مدينة السّندباد	١٣٣
أُنشودَة المَطَر	١٤٢
سربروس في بابل	١٥١
مدينة بلا قطر	١٥٥
بور سَعيد	١٦٠
المومِسُ العمياء	١٧٣
حفّار القبور	٢٠٢
الأطلحة والأطفال	٢٢٠

قريبـــاً

ستصدر جميـع الأعمال الشعرية

للشاعر العبقري

بدر شاكر السيّاب

في مجلد واحد

مطابع قدموس الجديدة
فرن الشباك – شارع المنتزه
تلفون ٢٨٦٢١٦

ديوان للشاعر الذي عاش في الوهج من كل شيء، فأحرقته الحياة بلهيبها وهو يناضل من أجل هذا الجيل العربي. الشاعر الذي كانت حياته القصيرة حافلة بالمحن والخطوب والانفعالات التي فجرت عبقريته الشابة بشعر أصيل رفعه إلى مرتبة الشعراء الذين ارتقوا بشعرهم إلى مصاف البقاء...

بدر شاكر السياب. الإنسان، الشديد التأثر، المرهف الإحساس العميق الانفعال بكل ما يراه أو يجري من حوله.. يتحسس آلام نفسه وآلام الفقراء الضعفاء والكادحين المعذبين فينشد أناشيد الأمل، أمل الخلاص من الاستعمار والاستغلال والظلم والاستبداد.. مقارعاً الطغاة، حاثاً الشعب على الكفاح والنضال.. إلى أن تحقق أمله: أمل الشعب في الحياة الحرة الكريمة، في ثورة العراق... تجيء كما يجيء الغيث يروي العطشى.. فينشد أنشودة الحياة الجديدة الخيرة «أنشودة المطر»..

الناشر

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت
الثمن ٩٠٠ ل.ل.